الحب والخوف

الحرية
للنشر والتوزيع

روايات أحلامي

• روايات أحلامى سلسلة رومانسية

تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

تقـــدم...

«روايــات أحلامــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا
بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..
الحب حيث الورود والرياحين..
حيـث الحيـاة..
وروايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب
والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»
فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»
على أمواج الرومانسية.





الفصل الأول

اعترفت هيلين لنفسها أن العرض جذاب، مصاريف سفرها لقبرص بالأضافة لمصاريفها وثمن زمنها مقابل إصطحاب الطفلين فى رحلة وتسليمهما لعمهما فى قبرص، ليون بيترو.

قالت ودفعة حماس تكسب وجهها جمالا ناعماً

- كان لطيفا منك أن تفكرى بى، فأنا.. لم أحصل على اجازه منذ ثلاث سنوات تقريبا كما تعلمين.

- لهذا السبب فكرت فيك، ستكون رحلة استجمام رائعة بعد سفرك وأنت لديك صديقة هناك لابد أنها ستستضيفك أسبوع أو اثنين

تناولت هيلين فنجان بريندا وسكبت لها مزيد من الشاى

- تروى سنفرح بالزيارة، أعتقد أنها أخبرتك بزواجها

من قبرصى.

واستأنفت عندما أومأت بريندا برأسها

.. لهما مسكن على مشارف نيقوسيا، يبدو جميلاً منذ زواجهما منذ ست سنوات من تاسوس الذى التقت به فى إجازة فى قبرص ولكنهما، اعتادتا المراسلة بانتظام، ودعتها ترودى عدة مرات للذهاب للجزيرة لقضاء عطلة معهما، وكانت هذه فرصه رائعة، وزادت هيلين لهفه وهى تسأل صديقتها عن التفصيلات.

– قيل فى البداية أن أباهما سيغادر المستشفى سريعاً، ولكن أتضح أنه سيمكث بها عدة أشهر، لذلك تقرر ذهابهما لعمهما فى قبرص.

، أخذت بريندا تحتسى الشاى، وعادت تقول ضاحكة

– عمهما، فيما علمت، وافق على مضض أن يكفلهما، يبدو أنه لا يميل كثيرا للأطفال، من الواضح أنه عدو للنساء

– من المؤسف ألا تستطيعين أنت العناية بالأطفال تناولت رشفة أخرى من الشاى

– إن هذا مستحيل

– هل اساءت إليه إمرأه ما؟

– واضح أنه يكره النساء لما فعلته زوجة أخيه التى رحلت مع شخص آخر، كان تصرفا أنانيا بشعا، ولكن بعض النساء قاسيات تماما

ودار فى خلد هيلين أن بعض الرجال كذلك، استغرقت فى الصمت وهى تتذكر سنواتها الثلاث مع غريفورى، كان زواجا طبيعيا هانئاً، وعندما وجد زوجها ميتاً وسيارته محطمة كانت معه فتاه من مكتبه، قال أحد الأصدقاء «إن الزوجة آخر من يعلم غشت هيلين المرارة ولكنها أضطرت للاعتراف أن علاقته بالفتاة ترجع لأكثر من عام، كانت هذه هى النهاية بالنسبه لها وفقدت ثقتها بالرجال نهائياً، فجلبت عليها الصدمة مرضا طويلا، وخطيراً، لم يمتص قواها البدنية فقط ولكنه أفقرها مالياً، ثم تحسنت صحتها وأصبحت تشغل منصبا في المكتب حيث كانت تعمل قبل الزواج ولكن المنصب لن يخلو إلا بعد عيد الميلاد، لهذا كانت حرة فى انتهاز فرصه زيارة قبرص

– ما عمر الطفلين الآن

- تشيبسى فى الثامنة وفيونا فى السابعة، لذلك ستكسبين أجرك بجهد

أجابت هيلينا فى حزن، متذكرة طفلها الذى لو عاش كان سيبلغ الرابعة الآن.

- لا ينبغى أن أتوقع أجرا بدون جهد، إننى على أى حال أحب الحيوية فى الأطفال.

قالت بريندا محذرة وهى تبتسم

- أخشى أن هذين الطفلين يفيضان حيوية كبيرة والأرجح أنهما سيضجران قبل نهاية الرحلة بكثير، أرجو أن يروقك هذا العرض

- إنه يروقنى، ولكننى أحتاج أن أرى والد الطفلين

- أجل فى المستشفى سوف أخبر بيل ليعُدّ للقاء

أحدثت هيلين أثراً طيباً فى نفس الأب، وقبل أن ينقضى أسبوع كانت مع الطفلين على متن الباخرة كبوسس متجهين لقبرص

تطلعت فيونا إلى هيلين وسألت فى حيرة

- الظلام يحل... لماذا يهبط بهذه السرعة؟

بدا الأستياء على وجهها وهى تقول.

- لن تستطيع اللعب فى الخارج مساء، ما أظننى أحب هذا.

قال تشيبسى

- بل ستحبين... انظرى للدفء كان البرد فى الوطن يحرمك من اللعب على أى حال.

اقرته هيلين

- ستعودين للثياب الصيفية وتستطيعين أن ترتديها على مدار العام

اتسعت عينا فيونا

- على مدار العام، أليس لهم شتاء هنا؟

هزت هيلين رأسها.

- فترة الشتاء قصيرة، الطقس لا يزال دافئا.

ظلوا يتأملون فى صمت والسماء تزداد ظلمة، ثم

أطلقت فيونا زفرة أسى

- ليتك تمكثين معناً سيدة سيتوارت، فلا تتركينا مع العم ليون.

قال تشيبسى

- العم ليون مروع... لن يدعك تفعلين شيئاً

أضافت فيونا

- أنه يجعلك تلتزمين الهدوء

- فإذا لم تلتزمى الهدوء نظر إليكى هكذا

وقطب تشيبسى اساريره حتى لم تتمالك هيلين نفسها من الضحك وإن عاودها القلق على سعادة الطفلين، وقالت:

- أنا واثقة أنه ليس بهذا الشكل

ثم أردفت فى فضول

- اذن رأيتما عمكما؟

أجابها الصبى

- لقد جاء لرؤيتنا مرة

قالت فيونا

– أننى أتذكره جيدا لأنه قال لوالدى أننى أستحق صفعة، سيدتى أنتى تفهمين الأطفال، ألا تستطيعين البقاء معنا؟

ابتسمت هيلين، وقالت

– أنا متأكدة أنه كلف شخصاً للعناية بكما.

قالت فيونا بإلحاح

– ولكننا نريدك أنت، لماذا يجب أن تعودى؟ هل لديكى أولاد؟

أجابت هيلين

– لا ... ليس لدى أولاد

قالت مشيره للجزيرة لتلفت إنتباههما

– أنظرا هل تريان القلعة؟

سألها تشيبسى وهو يأبى أن يلتفت

هل ستعودين للوطن رأسا، ؟

قالت

- سأقضى اجازة أولاً مع صديقة لى فى قبرص، ثم أعود إلى انجلترا .

- كم من الوقت ستمكثين هنا؟

قالت فى لهجة غير واثقه

- قد أمكث أسبوعين

***

لاحت الجزيرة للأنظار حين صعدت للسطح فى السابعة من صباح اليوم التالى،

- إنها بافوس

إلتفتت هيلين... إنه روبرت سيتوارت المرح المسافر وحيداً

- سنقضى ثلاث ساعات قبل أن نرسو

ألقت هيلين نظرة دهشة للجزيرة قائله

- كل هذا الوقت، إنها تبدو قريبة جداً.

قال - بافوس تبعد مسافه كبيرة

اقترب من هيلين، فرغم عدم إكتراثها بالرجال، لم تتمالك أن ترتاح لروبرت، بعينه الصافيتين الزرقاوين وقسماته المريضة أخبرها أنه أعزب، ومن الغريب أنه كان يعيش فى لاتيتوس، وقد عرف بيترو معرفه عابرة

- قال لها عندما عرف سبب قدومها

- أنه شخصيته صلبة، متشبث بالعزوبية، ولكن له وسائل لهوه طبعاً.

وانفرجت أسارير هيلين، فضحك روبرت، وزادها مرحا عندما أضاف إن أى قبرصى لا يستطيع أن يعيش بدون إمرأة.

- سألته هيلين بفضول

- ما شكل بيته

قال بلهجة تنم عن الاعجاب

- ياله من بيت، مشيد على ركائز على سفح الجبل شبيه ببيت خلوى أبيض كبير، أنه جميل جدا فى الواقع

لا يناسب شيخاً أعزب مثل ليون بيترو

– تقول شيخاً؟ كنت أظنه شابا

هز روبرت كتفيه

– لعله فى أواخر الثلاثينات، ويجوز أن أضيف أنه وسيم جدا ولكنه محاط بجو من العجرفة يكسبه الطفلين مظهراً صارماً صلباً

، غمغمت هيلين، غير مطمئنة إلى إحتمال أن يكونا بخير معه

– أرجو أن يكون الطفلان بخير معه

تأملت الجو الصافى حولها

، قال لها روبرت

– أنت ستمكثين أسبوعين... هل أستطيع أصطحابك فى جولة حرة.

– إبتسمت هيلين

– سأكون مع أصدقائى، ولكننى أشكرك على أى حال.

، هز روبرت كتفيه وقال أنه سيعطيها رقمه على أى حال لتتصل به فى أى وقت تجده فراغاً، شكرته بدون أى نية فى الأتصال

قالت هيلين أخيرا...

– يجب أن أذهب لأعتنى بالطفلين، من المؤكد أنهما استيقظا الآن

***

رست السفينة فى ليماسول، كانت هناك سيارة تنتظر وكانت هيلين متأكدة أن الرجل القصير السمين ليس هو ليون بيترو

قال الرجل

– هل أنت السيدة ستيوارت؟

ابتسم للطفلين وداعب شعر فيونا وهو يقول عندما أومأت برأسها

– أوفدنى السيد بيترو، إنه لا يستطيع الحضور بنفسه

قالت هيلين:

– هل قال أننى يجب أن أصحب الطفلين

عندما زحفت يد صغيرة إلى يديها، فهمت الرسالة

، بدا الرجل مترددا، ثم قال

– هذا ما قاله، أتظنيننى أرتكب خطأ: كلا...

ولكن هز رأسة بسرعة وقال

– لست مخطئاً، قال للموظفة فى مكتبه أن تتصل بالفندق وتحجز مائدة لأربعة افراد،

عندها شعرت هيلين بتوتر قبضة فيونا تخف، ابتسمت لها بحنان وبدا تشيبسى هو الأخر سعيداً، وأشرق وجهه فقالت ببشاشة وهو يفتح باب السيارة:

– هيا إذن.. إلى أين نذهب؟ ليس إلى لايبتوس؟

– كلا إلى نيقوسيا، فهناك مكتب السيد بيترو.

– كانت فرصة سانحة إذن، فكانت هيلين تتوقع أن تستقل سيارة أجرة إلى مسكن ترودى.

، مكتب ليون خارج مركز المدينة، مبنى جديد ذو شرفة واسعة أبدت هيلين دهشتها عندما غادر السائق

مقعده، وفتح الباب وسألها، رغم اهتمام الطفلين

- هل أنقل حقائبك؟

قالت

- يحسن تركها في السيارة.

، بعد لحظة كانت هيلين في مكتب أنيق، تقف أمام ليون بيترو الذي ينهض عن مقعدة عند دخولهم ومد يده إلى هيلين فمدت يدها،

- صباح الخير، سيدة ستيوارت، لعل رحلتك لم تكن مضنيه.

- استمتعت بها كل الاستمتاع، شكرا لك.

لم تبتسم وهي تسحب يدها، بينما وقف لحظة يرمقها في صمت قال وهو يوليها اهتمامه ثانية

- يسعدني أن أسمع هذا، كنت واثقاً لمعرفتي بابناء أخي انهما سيسببان المتاعب.

رمقها بحده وهو يتكلم

- يجب أن أشكرك لأنكي أوصلتهما بامان

شعرت هيلين بالغضب من كلماته الأولى، فقالت بحدة

– لم يسببا لى أية متاعب، استمتعت بالرحلة تماما.

وبتصميم على دفع الإضطراب الذى تشعر به، سأل للعم ليون

– ما أظنك ترحلين، كنت أعتزم إصطحابكما للغداء

قالت

– شكرا، ولكن...

تسللت يد فيونا ليدها، فشعرت بغَصّة فى حلقها، ولدهشتها وجدت نفسها تقول

– يسرنى تناول الغداء معكم.

– هناك أيضا مسألة دفع ما يستحق لك، ما أمر نفقاتك.

قالت

– إن السيد بيترو أعطانى مبلغ أضافى

– هل هو كافى

أومأت براسها

- نعم، نعم أشكرك

- الرحلة تتيح لى قضاء عطلة هنا فى نيقوسيا، مع صديقة لى .

رأته يخرج من حافظته بعض أوراق مالية فقالت.

- إننى مكتفية تماما

فقال

- هذه عملتنا طبعا، ولكن جنيهنا يعادل الجنيه الانجليزى، ناولها النقود، فتحت فمها بالرفض ولكن شيئا فى ملامحه جمد الرد على شفتيها وهو يضيف:

- أظن هذه تكفى لتغطية أى نفقات تكبدتها أثناء السفر

- حسنا، شكرا لك.

، نظر بعد ذلك للطفلين مبتسما بمعجزة سائلاً إياهم

- كيف كانت الرحلة، هل شعرتما بتعب.

قال تشيبسى

- نمنا فوق الأسرة المعلقة

فقال:

- وفى النهار ألم تشعران بالضجر،

- أحيانا ولكن السيدة سيتوارت قصت علينا حكايات ثم لعبنا الورق.

قالت فيونا

- أحضرت أيضا بعض الكتب المسلية معها

، نظر فى دهشة إلى هيلين قائلاً

- كيف فكرت فى أشياء مثل هذه؟

يبدو أنكى بالغة الكفاءة، سيدة سيتوارت.

وتوقف لحظه .. ثم قال

- هل أنتى متزوجة

قالت بهدوء

- أرملة

غمغم معتذراً ثم قال

- إنكى أصغر من أن تكونى أرملة.

قالت هيلين

- أنا فى السادسة والعشرين... مات زوجى منذ عامين، فى حادث

إعتذر ليون مواسياً مرة أخرى، ثم قال

- هل لكى أولاد؟

- مات وليدنا وعمره ست شهور.

كان اعتذاره مفاجئاً لها

- أرجو المعذرة سيدة سيتوارت، لقد لاقيت حياه محزنه لشابة فى مثل سنك.

- أصغى الطفلان باهتمام، كان واضحاً أنهما يفهمان

بعد ساعة من ذلك كانوا فى الهيلتون يتناولون الغداء، وعندما خرجوا من السيارة سأل هيلين عن عنوان صديقتها ثم قال

- سأقلك إلى هناك، أنه ليس بعيداً عن هنا

شكرته هيلين، وهى تستقر بجواره قائلة

- إن مثل هذه المساعدة تهوّن الأمور فى بلد غريبة

، قادها ليون بعد ذلك

- هذا هو الطريق.

قالت هيلين

- سآخذ حقيبتى

انتظرت أن يفتح حقيبة السيارة ولكن نصحها أن تتأكد من وجود صديقتها أولاً.

قال لها الطفلان

- هل نستطيع أن نأتى معكى

- نظرت إلى عمهما فإذا هو لدهشتها لايمانع

وتبعها الطفلان إلى المسكن

أطلت إمرأة من المسكن المجاور عندما كادت هيلين تقرع الجرس للمرة الثالثه

- أتريدين مدام باولو؟

– نعم... إتعرفين أين هى؟

تأملتها المرأة لحظة، ثم رمقت الطفلين

– ذهبت مع زوجها إلى مصر، إضطره العمل للذهاب فرحلا الأسبوع الماضى

غاص قلب هيلين

– هل تعرفين متى سيعودان

، هزت المرأة رأسها أسفا

– سيبقيان شهران، هل جئتى لزيارتهما.

قالت هيلين

– نعم، نعم، جئت من انكلترا.

قال تشيبسى لعمه فى الخارج

– صديقة مدام سيتوارت رحلت

، وأضافت فيونا

– ولن تعود قبل شهرين

تساءل تشيبسى بلهفه

- هل تستطيع أن تمكث معناً .؟

سارعت تقول

- كلا يا تشيبسى، لا أستطيع أن أمكث هنا شهرين والتفتت إلى ليون

- أكون ممتنة إذا أوصلتنى إلى الفندق

- رفض فى حزم

- كلا سوف تقيمين فى منزلى.

- كلا... كلا، لا أستطيع أن أضايقك هكذا

مست شفتاه ابتسامة واهنه، وقال فى هدوء

- ألم تسمعى بكرم الضيافة القبرصى، أنتى أسديتى خدمه كبرى لأخى ولن يرضينى أن تبقى وحدك فى فندق.

وظل فاتحا باب السيارة

- أخشى أن أضطر للعودة للمكتب، ولكن بوسعى أن اتمم عملى فى ساعة، ثم أصحبكم إلى المنزل.

***

الفصل الثانى

لم تكد الساعة تبلغ الثانية حتى كانا فى طريقهما إلى المنزل، ولم يكف الطفلان عن الثرثرة فرحين بهذا التحول غير المنتظر.

ساد الصمت فترة فى السيارة، فاضجعت هيلين فرحة بهذا الهدوء

كاد رد فعلها الأول لرحيل صديقتها أن تغادر إلى انجلترا ولكنها بعد ذلك قررت قبول عرض ليون والبقاء فى قبرص.

عندما وصلوا إلى البيت إكتشفت أن منزل ليون، كما وصفه روبرت تماماً.

بعد ذلك وهى تتناول ملابسها التى سترتديها فى العشاء أخذت فيمن قابلتهم اليوم، كانت هناك أخت ليون وهى مخطوبة وستتزوج فى يوليو المقبل

تلاها من أفراد المنزل أسمينا، عمة ليون، وزوجها فاسيبلرس، أما أم ليون فكانت إمرأة بدينة مفضنه، فى زيارة لليون لأنها تمكث مع إبنة لها متزوجة، وإعتادت المجىء مرتين فى العام لترى إبنها دكولا.

– رنين جرس الباب فى الطابق السفلى، أعادها إلى إكمال زينتها، رفعت شعرها الأسود ولم تلون خديها، ولم تصبغ شفتيها مما أبدى رقة فمها المقوس.

– كان مكانها إلى يمين ليون، بينما جلس الطفلان فى الجانب الأخر يغشاهما التهيب ولكنهما إبتسما عندما جلست هيلين، قدم ليون لها حساء من وعاء كبير، لم تكن واثقة أنها ستستسيغه، أخذت قدرا صغيرا ولكن ليون قال لها، كما لو كان يقرأ أفكارها

– سيروق لك

أضاف قدراً أكبر لها

قالت فيونا فجأة

– أننى لا أحب هذا الطعام، هل أستطيع الحصول على بطاطس غدا؟

كان جواب عمها مقتضباً

- ستتناولين ما نتناوله

وأخذ سكينا وأخذ يقشر تفاحه له، للحظة رهيبة خافت هيلين من احتمال حدوث صدام بينه وبين الطفلين

عندما انتهى العشاء، غادروا الحجرة وتناولا القهوة فى الشرفة وكانت أول رشفة كافية لفيونا، فقد سكبت القهوة على غطاء الطاولة المطرز

، نظر إليها عمها فى حدة

- حان الوقت لتأويا للفراش

والتفت إلى هيلين قائلا

- أتسمحين أن تعتنى بهم، ستتولى آرايتا رعايتهم آخر الأمر، ولكن لعلك تقومين برعايتهما أثناء وجودك هنا؟

بادرت قائلة

- نعم، بالتأكيد...

بعد ذلك توجهوا جميعاً للنوم

ذهبت للإطمئنان على الطفلين الذين قالا لها

- يسعدنا أن تبقى معنا فترة طويلة

قالت هيلين

- هذا غير ممكن

وبدافع غريزى، انحنت وقبلت خدها

- طابت ليلتك يا عزيزتى.. نوما هانئاً!

***

كانوا يجلسـون تحت مظلة زاهيـة الألوان، فى مـرفـأ كيرينا وعندما اقترب الطفلان من المرفأ، هتفت هيلين حين رأتهما يقتربان من الحافة

- احترسا، إرجع إلى الوراء قليلاً يا تشيبسى!

قالت كولا،

- انهما طفلان طيبان جدا

لاحظت هيلين ترددها

- وكأنك تتوقعين العكس!

ترددت كولا مرة أخرى ثم قالت

- رآهما ليون فى انكلترا مرة أو مرتين، ولم يبدو أنه

وجدهما حسنا السلوك بطريقة ملحوظة

قالت هيلين وهى تتذكر مناسبة أو اثنين

– لهما لحظات ازعاج ولكن معروف أن الطفل الهادى يعد طفلا غير طبيعى

تناولت رشفة من شرابها

– واضح أنكى تحبين الأطفال

لم تعقب هيلين، فأردفت كولا قائلة

– أنا أيضا أحب الأطفال، وأريد أربعة على الأقل

لقد وضعت رسم البيت بنفسى

– وهل سمح لكى زوجك بذلك، فان فكرتى عن اليونانيين أنهم يحبون السيطرة على كل شىء.

– ولكننى أرضى نفسى فى هذا الصدد، لا تنسى أنه بيتى

– بيتك؟ لابد انك غنية

– ترك لى أبى ما يكفى من مال وأكمل ليون الباقى

– وإذا انقصم الزواج، هل يؤول المنزل للزوج

– لا طبعا، يؤول إلى

ثم فكرت هيلين لابد أن هذا هو السبب فى أن معظم الزيجات اليونانية لا تنفض

- ان معظم الزيجات هنا مدبرة أليس كذلك؟

لم ترد كولا، بل أخذت تبتسم، نظرت هيلين للخلف، فوجدت ليون

- أخشى يا أنسة ستيورات أن هذا ما زال تقليداً شائعاً، وأن الغرب لن يتدخل هذا الأمر حتى الآن

جلس فى أحد المقاعد الفارغة ونظر إليها نظرة ذات مغزى قائلا

- ولكن معظم هذه الزيجات ناجحة

أحست هيلين أن لكلماته معنى أكثر من الظاهر

- هل أطلب لكى شرابا؟ لم تهتمى بالسيدة ستيورات.. كولا؟

- لقد شربنا بالفعل:

- اشربى مرة أخرى

وطلب الشراب الذى ذكره، وجلسوا فى صمت برهة

يتأملون المارة، كان معظمهم قبارصة،

قالت كولا

– أنها رحلة معتادة فى أصيل يوم الأحد.

تنهدت هيلين، عندما تذكرت أن أقامتها أوشكت على النهاية، هى وكولا أصبحتا صديقتين حميمتان، كان ليون بعيد على أن يذهبا بمفردهما قائلا

– لا يمكن أن تأخذاهما باستمرار.

ورغم أن هذا كان يضايق الطفلين إلا أن هيلين إكتشفت عبثيه مجادلة ليون فى أى شيء.

***

بدأ الظلام فى الهبوط، وتحول الوهج النارى على البحر إلى أرجوانى جاءت هيلين وكولا والطفلين معاً، جاء ليون بسيارته

فكرت فى طريق العودة وهى جالسة بجوار ليون، فى السبب الذى أتى به من سكتبه

كان الهواء حولها معطراً وقالت فيونا

– انى أحب عبير الحديقة، الا تحبينه ياسيدة سيتوارت؟

– بلى فيونا، اعتقد أنه رائع.

سألتها فيونا

– هل أنتى حزينة لرحيلك؟

واختنق صوتها وهى تقول

– الا تستطيمين البقاء مدة أخرى؟

– مكثت أسبوع أخر يا عزيزتى، ولى بيتى كما تعرفين

قال تشيبسى

– ولكنك وحيدة، لو أننى مكانك ما أحببت العيش وحدى.

قالت مبتسمة

– طبعاً ولكننى تعودت على ذلك.

سألها

ولكن، ماذا تفعلين؟

أجابت

– أشياء كثيرة، أقرأ وارسم قليلا.

وهتف

ترسمين صورا؟

قالت

– نعم، أحب أن أرسم وأكون وحدى تشيبسى.

سألها ليون.

– أتحبين أن تعيشى وحيدة، سيدة ستوارت

قالت

– تعودت على ذلك.

كرر سؤاله فقالت

– نعم. أحب أن أعيش وحيدة.

وكان تعقيبه يدعو للدهشة.

– لا يبدو أنكى متأكدة من ذلك.

وبعد صمت بدا أنه كهرب الجو المحيط بهم قال

– أود أن أتحدث إليك على حدة يا سيدة ستوارت

بعد إرسال الطفلين إلى الفراش.

تساءلت، وهى لا تدرى سر الرهبة التى شعرت بها فى أعماقها

على حدة؟ هل أجىء إلى مكتبك

قال - اذا كنتى لن تمانعى، لن يزعجنا أحد هنا

كانت نبراته مقتضبة، وفى عينه ذلك اللمعان البارد الغريب وقد طبق فمه بقوة.

- وفى وقت لاحق من ذلك المساء، كان قلب هيلين يدق بقوة بعد أن دخلت إليه فى المكتب

شرع يقول بدون تمهيد

- كنت حاداً يا سيدة سيتوارت، حيث قلت - فى فترة سابقة اليوم - أن زيجات الاتفاق والتراضى عندنا، موفقة تماما.

جلس فى هدوء فى مواجهتها واستأنف حديثها

- استخلصت - أثناء حديث معكى، أنك لا تأملين فى زواج ثان يقوم على الحب، أترينني أصبت الهدف

قالت متلعثمة

– نـ... نعم

هكذا ظننت، ولما لم يكن ثمة مجال لأن أحب امرأة أنا أيضا، فإننى أعرض عليكى مشروعاً، لا تقاطعينى آنسه سيتوارت

تزحزح من مقعدة قائلا

– لقـد تلقـيت أنبـاءاً عن أخى، صـحـتـه فـى تـدهـور لن يعيش لأكثر من شهر.

هتفت هيلين

– سيصبح الطفلين يتيمين؟! ما أفظع هذا؟

قال يذكرها بخشونه

– أن للطفلين أما.

ثم أردف

– على أن هـذا غير هـام، لأنها غير ذات نفع لهما الآن، سيـكون عليـهـمـا أن يقـيـمـا مـعـى، لا خـيـار فـى ذلك، ومن الجلى أنهم مـرتبطـين بك، لذلك أسـألك أن تقيـمـى مـعـنـاً من أجل العناية بهما

– هذا فقط، بالطبع سافعل

سكتت عندما نظر إليها، ثم قال بصوت ناعم

- رجوتك الا تقاطعينى

تصاعد الدم الى وجنتيها، فانتظر لحظة ثم قال

- اختى كما تعلمين، ستتزوج فى الشهر المقبل، وفى انجلترا يباح لكى أن تعملى فى بيت رجل حتى لو كان عازب، أما هنا فهو مستهجن - نحن هنا أكثر اهتماما بمسائل اللياقة عن بلادك ولذا يبدو أنه لا غنى عنك لسعادة طفليك، فاننى أطلب منك الزواج.

ألجمتها الدهشة، هل يجرى عرض الزواج بهذه الطريقه، لم يزد ليون على ما قال وأمهلها وقتاً تستجمع نفسها، أخذت تتقبل رويداً، ان الزواج هو المخرج الوحيد له...

تمالكت نفسها وقالت

- انا لا أستطيع الزواج منك، قد أبحث المجيئ للعناية بتشيسى وفيونا، أما الزواج....

الواقع أنها كانت تهتم بالطفلين كثيرا، لا شك أنهم سيشعرون بالأسى،

غمغمت وهى تحدقه بنظره فيها بريق

- لا أدرى ماذا أقول سيد بيترو، اننى عاجزة حتى عن التفكير وأيقنت هيلين أنه رجل ماكر وحكيم، عندما قال فى نعومة

- أنا أفهم الصراع الذى يدور فى داخلك.

ولا أتوقع قرار فورى

فلن يطلب منها إلا أن تبقى عفيفة ولا تمر للهوان بسلوك ربما يوصف ولو من بعيد بأنه غير لائق.

- لن يحدث ما تخشاه من هذه الناحية....

وذهلت إذا إكتشفت أن تفكيرها تحول لصوت مسموع

وابتسم ليون لارتباكها، فإذا التغيير الذى طرأ عليه كان مذهلاً، أجل كان وسيماً.

ثم أن فكرة الزواج بين شخصين أحدهما يكره النساء والأخرى تكره الرجال، فكرة مثيرة للسخريةوالإثارة معاً.

***

الفصل الثالث

انقضى شهران على زواجهما، حين حلت معجزة الربيع على الجزيرة وإذا بأخطار الشتاء، وأخذت الألوان تنتشر على سفوح الجبال، لامست شفتى هيلين ابتسامة، اذ سمعت نداء

- ياعمتى هيلين

فسارعت إلى سياج الشرفه، أطلت على الحديقة، هناك كانت فيونا،واقفة وهى حاملة لحقيبة الكتب على كتفيها وقالت:

- لقد عدت

ضحكت هيلين

- استطيع أن أرى ذلك... هل أنتى جائعة؟

– حتى الموت.

– تعنين التضور جوعاً

– أجل، أصبت، هل لدينا شيئا من تلك الكمكات التى أعددتها بالأمس؟

– عدد قليل، سأوافيكى حالا، سأرى ماذا لدينا في العلبة.

تحولت إلى غرفة النوم، فاذا بها تلمح نفسها فى المرآة تذكرت ما قالته صديقتها ترودى لها حين زارتها

– أنت طراز قديم

– لماذا التحفظ، أنتى لن تحتفظى به بهذه الطريقة فهؤلاء القبارصة، سرعان ما يحجمون شاردين يكفى أن يروا وجهاً جميلاً واحداً لكى ينحرفوا ما لم يكن لديهم فى البيت ما هو أفضل

– هل تتحدثين عن سابق تجربة؟

– كلا بالطبع، فحبيبى تاسوس مختلف، أجل، لا داعى لأن تضحكى! ولكن هذا هو السائد، اننى أحذرك لأنكى

صديقتى انك حسناء يا هيلين، فلماذا الجمود؟

نبهها من شرودها صوت فيونا

– أين أنتى يا عمتى

فبادرت مجيبه

– أنا قادمة يا حبيبتى

– أين الكعك

. ارفعى حقيبتك، كلا، أرجو أن تعلقيها فى مكانها.

هتفت الطفلة

– يا عمتى هيلين، أسرعى.

تقدمت هيلين للخزانة ضاحكة

– أين تشيبسى؟ لماذا يتأخر دائما؟

– انه مع بعض الأولاد، يستطيع أن يتكلم معهم أما أنا فلا، من الصعب تعلم اللغة اليونانية معلمتى طيبة، تخبرنى بكل الكلمات

– ولكنك سرعان ماتنسيها.

- اتذكر بعضها، لكن الحروف غريبة جدا

لماذا يقلبونها

- لا يقلبونها، لكنها مختلفة، هذا كل ما فى الأمر سوف تتعلمين اللغة قريبا

- لكنك قلتى لعمى ليون أنكى لن تتعلميها أبداً.

- أنا أكبر منكى، والتعلم فى الكبر شاق، وعلى أى حال فان معظم الناس هنا يتكلمون الانجليزية.

نظرت من النافذة فوجدت تشيبسى قادما

- ماذا تأكل فيونا؟ هل أستطيع أن أنال بعضاً منه

- عندما تعلق حقيبتك أولا

- علقيها بدلا منى يا فيونا

هتفت هيلين

- ماذا قلت

- قلت لفيونا أن تعلقها بدلا منى

قالت هيلين بحزم

– خذ حقيبتك خارج المطبخ، فوراً

فأشار بسبابته إلى فيونا قائلا

– فيونا؟

شربت فيونا جرعة كبيرة من الحليب، وملأت فمها بلا كمك

مرة أخرى، ثم قالت

– لن أعلق حقيبتك، علقها لنفسك، لست أدرى

ماذا جرى بك؟

ثم نظرت إلى هيلين وأردفت

– طلب منى هذا الصباح أن أنظف حذاءه

حدقت هيلين غير مصدقة

– تنظفين حذاءه؟ هل طلبت من أختك ذلك؟

أجاب فى هدوء

– نعم، الأخوات دائما يخدمن أخواتهن، الصبيان هم ذوو القيمة،

– هل لى أن أسألك، من أخبرك كل هذا؟

– الأولاد ، وقالوا أيضا...

– لا أريد أن أسمع.. تستطيع الآن أن تتصرف

– ولكنك لا تفهمين يا عمتى هيلين

– مالذى لا تفهمه، عمتك هيلين

***

كان ليون يقف بالباب، منذ مدة، رشيقاً يرتدى بدلة من التيل الأصفر الشاحب، ومع أنه كان يخاطب تشيبسى الا أن عينيه كانت على هيلين، تطوفان بها من رأسها حتى أخمص قدميها، ولأول مرة شعرت بمظهرها الكئيب. ، تحول إنتباهها إلى تشيبسى عندما قال ليون بصوت حازم

وبعد؟

– هل فقدت لسانك فجأة؟

تبخر إعتداد الصبى بنفسه وقال مستكينا:

- لا شيء عمي ليون.

إلتـفت ليـون إلى هيلين، واضطرت أن تجـيب عن الطفل فقالت في لهجة مخففة مستضحكه

- تشيبسى يتحول إلى قبرصى بسرعه، فهو يعتبر أن الأنثى أدنى منزلة.

تساءل ليون

- أصحيح هذا؟

قالت فيونا

- إنه يسخر منى، ويأمرنى بتنظيف حذاءه.

قالت هيلين مؤنبة

- هذا إفتراء، طلب منكى فقط تنظيف حذاءه

قال ليون لابن أخيه في هدوء

- انزل عن المقعد، وانقل حقيبتك!

ولمسها بطرف حذاءه، أطاع تشيبسى على الفور، وقال حين عاد، موجهاً حديثه للا أحد.

– كل الأولاد في المدرسة يكلفون أخواتهم بأداء أشياء معينة

ثم أردف فى لهجة شبه تحدى لعمه

– كانت عمتى كولا تؤدى لك أعمالا...

أعقب هذا الانفجار الصغير، صمت رهيب

ثم أمر ليون ابن أخيه بالذهاب لحجرته.

قالت هيلين

– انه لم يكن يقصد أن يكون فظاً.

قال ليون

– تشيبسى، افعل ما قلت لك

كان الصوت منخفضاً متوعدا، حتى أن هيلين نفسها، ارتجفت قليلا لسماعه، وانحسر الزهو من محيا فيونا، فدست خلسة قطعتين من الكعك فى جيبها وانزلقت عن المقعد، واتجهت للباب

وتبعت أخيها.

قال ليون وهو يخطو نحو باب الشرفة

- ما الذى أوحى لكى أن المرأة أدنى منزلة هنا

قالت:

- انها حقيقة، أليس كذلك

قال وهو يرمقها معجب

- الأمر يتوقف على تأويلك لسلوك الرجل جهة المرأة
استأنف حديثه قائلا

- المرأة في بلادكم مساوية للرجل، ولكنها فى سبيل اكتساب هذه المساواه، فقدت شيئا أثمن بكثير

إلتفتت هيلين متسائلة،

- مالذى فقدته؟

قال:

- انها فى سبيل الحرية لا تلقى احتراماً ولا مجاملة، بل انها لم تعد تعتبر إمرأه، لم تعد تحظى باهتمام الرجل لم تعد تلقى دلالاً.

فاضت عيناها بالعجب، ما هذه بكلمات رجل يكره النساء.

وقالت:

- لم أعلم أبداً أن الرجال الشرقيين يدللون نساءهم.

- إذن، لم يصدقك من أخبرك، اننا ندلل نساءنا ونعتز بهم، أنا أتكلم بصفة عامه طبعاً، القليل من الرجال هنا لا يعاملون نساءهم بلطف، ولكن هؤلاء أقلية أؤكد لكى ذلك.

- لست أدرى كـيف تقـول ذلك، فـمـمـا رأيت هنا أستخلص أن النساء مجرد خادمات.

تملكه غضب حقيقى، إذا إنبعث صوته جاداً وقال

- هراء، انما تشتغل النساء فى البيت لأن هذا طبيعى لهم بينما يأتى الرجال بالمال.

قالت وهى تضع كوب ماء تحت الصنبور

- النساء يشتغلن في الحقول أيضاً

- هذا صحيح، لكن الرجال يعملون إلى جوارهم، والنساء يستمتعن بالعمل في الحقول.. ويستمرئن الهواء الطلق.

والتفت يتأملها وهى تقف على أطراف أصابعها لتضع الطبق على الرف فانحسر الثوب عن ساقيها،

سألها فجأة

- ألست بحاجة لنقود؟

سرى الدم سريعاً فى وجنتيها، ولكن عينيها عكستا دهشة واهمه

وقالت:

- كلا.. لدى كثير.

كان سخيا، لابد أنه يعرف عدم حاجتها للمال، فهو يعطيها الكثير

- لابد أن تطلبى إذا إحتجتى، ولن تجدينى ضنيناً.

إتسعت حدقتاها، هل يومىء لحاجتها لشراء ملابس جديدة ففى الفترة الأخيرة كانت عيناه تحدجانها بنظرة تسلبها الهدوء من نفسها، وتذكرها بما قاله روبرت، من أنه ليس بوسع أى قبرصى أن يعيش بدون إمرأة، ولهذه الأسباب كان ليون يخرج كل مساء.

كانت الحياه مرضية بالنسبة لها، وليس من الملائم تعقيد حياتها بإيقاظ رغبات زوجها، كلا، عقدت العزم

على أن تظل خالية من الجاذبية بالنسبه له

سألته بنبرة استعطاف

- لن تبقى تشيبسى فى غرفته طويلا؟ انه صغيراً على كل هذا وهو يصغى للصبية الآخرين

ابتسمت وتقدمت نحوه، وعندما وقف بجوارها أدركت أن رأسها لا تكاد مبلغ كتفيه

قال:

- انك بالغة اللين معهما

رغم حدة لهجته شعرت أنه لم يكن ينتقدها

قالت:

- لايزالان صغيران... وتعرضا لصدمة قاسية

- لكنهما تكيفا مع ظروفهما... بشكل جيد، وبسرعه.

فقوس شفتاه المزمومتان فى إبتسامه، وغاب عن عينيه الوميضه البارد، وأردف قائلا.

- انكى طيبة معهما، هيلين، لن أترك الصبى طويلا ولكن يجب أن يتعلم أنه لا يستطيع أن يعامل أخته كأنها

أدنى منه

رمقته بسرعة، ما أغرب هذا الرجل: هل يمكن أن يكون عدواً للمرأة حقاً، من المؤكد أن تجربة أخيه أثرت عليه، انتبه إلى إهتمامها، فبادرت تقول

– متى يستطيع تشيبسى مغادرة الغرفة؟

– قبيل موعد الشاى، سارى.

– قبيل موعد الشاى، ان الساعة الآن الثانية والنصف، ما أحسبك ستبقيه هناك ساعتين أخرين

قال :

– كلا ليس لساعتين، ولكن سيبقى لفترة.

– كانت نبراته هادئة، ولكن هيلين أدركت أنه لا يقبل نقاشا فى هذا الموضوع،

كانت تحاول على قدر الامكان تجنب وضع نفسها فى موقف احتكاك مع هذا الرجل

– ولكن احتكاكاً بين إراديتهما وقع هذا المساء

كانت قد قررت أن تزور ترودى مرة فى الأسبوع،

ومعنى ذلك أن تكون خارج المنزل، حين يعود الطفلان من المدرسة وشعرت أنه من واجبها أن تذكر ذلك لليون فقالت

– سيكونان بخير مع آرابته لحوالى ساعه فقط

وكان ليون يقضى المساء في المنزل، حيث كانا يجلسان فى الشرفة يحتسيان الشاى، فقال

– طبعاً، متى تذهبين؟

– فى حوالى التاسعة

كانت قد قابلت روبرت وعرض عليها توصيلها لهناك

، لمست جبين ليون لمسة خفيفة من العبوس وقال

– التاسعة، اذا بكرت أستطيع إصطحابك.

ابتسمت قائله

– لا عليك ليـون؟ ذلك الشـاب الذى أخبـرتك عنه، روبرت سوف يوصلنى إلى هناك

، ازداد عبوسه وقال

– افضل الا تقبلى، سأنضم للقافلة، يجب أن أكون فى

المكتب باكرا، لا أدرى ما يدعوكى لعدم الذهاب معى.

– تستطيعين أن تمكثى في المكتب معى

قالت:

– سأقبل دعوة روبرت، إذا لم تمانع، فهذا أيسر

– بل أمانع هيلين

كان صوته لا يزال هادئا، ولكن لهجته صارت أكثر حدة

– آرايته ستكون هنا، بوسعها توصيل الطفلين للمدرسة

قالت:

– ولكننى لا أريد الخروج مبكرة

– اذن أخشى أن تضطرى لأن تستقلى حافلة، أو أطلب لك سيارة أجرة قالت بصوت هادىء

– سأذهب مع روبرت، كما قلت

وضع ليون قدح القهوة من يده، واستلقى فى مقعدة وحدق بها، ثم قال بصوت ناعم

–هيلين.. إما أن تذهبى للمدينة باحدى الطرق التى

اقترحها عليكى، أو لا تذهبى إطلاقا

مرت لحظة صمت، ولكن انفعالها كان يتصاعد

قالت:

- سوف أقبل دعوة روبرت.

قال:

- أنتى زوجتى وستفعلين ما أقول

- أخبرت روبرت وسوف يأتى ليصطحبنى

بدا مندهشاً وهتف

- هل هو قادم لهنا، هل أخبرته أن يأتى لمنزلى، ليصطحبك

قالت له:

- بوسعى أن أتصل به لمقابلتى فى القرية

- ستتصلين به فعلاً، لتلغى هذا الاتفاق، اننى أتوقع منكى أن تتصرفى باتزان، أنتى الآن تسعين لتصرف يعرضننى للسخرية

- هذا غباء، مالذى يعرضك للسخرية هنا

- لست راغبـاً أن يقـرن إسـمى أو إسم زوجتى بإسم ذلك الانجليزى.

إكتسى وجهه بتعبير فظ، كانت هيلين تكره فكرة الخضوع، لكنها إقتنعت بأن مزيد من الجدل، لن يكون عقيما فحسب بل سيؤدى لإذلالها وقادها هذا الشعور إلى الحذر فقالت

- إذا كان هذا شعورك ناحية الأمر، فسأفعل ما تقول وألغى التدبير

انحسر الدم عن وجهها، ثم سألها.

- هل ستأتين معى؟!

أومأت برأسها فقال

- سيكون علينا أن ننهض مبكرين،

***

كان هذا الصباح خفيفاً صحواً، والشمس تطل بأشعتها الباهته

استرخت هيلين فى مقعدها وقد أدهشها أن تستمتع بالرحلة حقاً، تمتمت مأخوذه بالجمال الذى حولها

– من المؤسف أن تكون هناك مشكلات

– انها ستمل نفسها، فكلنا قبارصة وليس هناك ما يمنعنا من العيش فى سلام

سألها عندما بلغا مكتبه

– ماذا ستفعلين؟

أوقف السيارة والتفت ناحيتها مضيفاً

– هل الوقت مبكرا، لتذهبى لصديقتك؟

قالت:

– نعم، أرى أن أمكث هنا فترة... إذا لم يضايقك وجودى.

إبتسم لدهشتها، وقال يذكرها

– أنا إقترحت عليكى أن تمكثى

ودار حول السيارة وزادها دهشة أن قام بنفسه بفتح الباب لها قائلا

- سنتناول قهوة

قالت:

- لا داعى للقهوة، فأنا أعرف أنك تود البدء فى العمل ولكنه ألح،

بعد ذلك أخذ يتأملها بنظرات فضول، ثم قال لها بلهجة حذرة.

- هل ستتسوقين وأنتى هنا؟

سألت نفسها مرة أخرى، أتراها كانت إيماءة لتشترى لنفسها ملابس

- لا أحتاج لشىء

ثم أسرعت تضيف

- الطفلان فى حاجة لجوارب، ربما أشتريها

، لم يعقب على ذلك، انما أزاح العينيه ثم شرع فى العمل، بعد ساعة ونصف أقلها ثيو بالسيارة إلى سكن ترودى على أن يعود فى الرابعة والنصف

كان الشارع حيث تسكن ترودى محفوفاً بالفيلات

البيضاء والبيوت ذات الطابعة الواحدة والمبانى السكينة،

قالت ترودى معتذره وهى تفتح الباب

- اضطررت لاغلاق المصاريع الخشبية،

فالشمس تنال من ألوان كل شيء

قالت هيلين:

- لم اتعود بعد أن أغلق المصاريع لأصد الشمس.

- أعرف هذا، كنت مثلك فى البداية، فالشمس قليله فى انجلترا، حتى لا تفكرى فى أغلاق المصاريع بوجهها

- اننى أحب مسكنك هذا

- مع أننى لا اتوقع أن يكون شيئا بالقياس بمسكنك

دفع شيء ما فى قولها بحمرة الخجل إلى وجه هيلين.

فهى حتى الأن لم تدعوها لمسكنها

- ماذا تودى أن تشربى؟

- عصير البرتقال

قالت ترودى وهى تستقر فى مواجهتها

- أخبرينى عن ترودى

اضطربت عيناها قليلا وهى تضيف.

- لم تقـولى لى الكثـيـر عن زواجكمـا، فى الواقع لم تذكرى لى أى شىء.

- قالت هيلين.

- لابد أن أخبرك، فلا بأس، لقد تزوجنا أنا وليون من أجل الطفلين.

اختلجت عينا ترودى وقالت

- الطفلان، تشيبى وفيونا؟

- أخبـرتك أن أباهمـا مـات، واضطر ليون ان يكفلهمـا وسـألته أن ابقى فى قبـرص، ومـا كـان لى أن أبقـى فى البيت بدون زواج.. ولذلك...

هزت كتفيها، وسرحت نظراتها إلى الشارع.

- هذا هو السبب أننى لم أقل لكى الكثيـر، فهـذا النوع من الزواج ليس...

هتفت تروى.. مقاطعة.

- هذا النوع....؟

قالت هيلين.

- أعنى.. ليس طبيعياً.

اتسعت عينا ترودى وقالت.

- ماذا تقولين.

استطاعت هيلين أخيراً أن توضح لها.

- كنت تعرفين أننى لم اتزوج عن حب.. لقد أخبرتك بهذا من قبل.

قالت ترودى:

- كنت تقولين دائما، أنك لن تتزوجى إطلاقا، لذلك أرى أنكى معذورة، إذ استنتجت أن زواجك عن حب.

تناولت كوبا بين أصابعها ثم أردفت.

- ولكنك لا تعنين بمظهرك، انا صريحة، بل وقحه. ولكنك كنتى دائما جذابة ياهيلين، الا تريدين ان يهواك ليون؟

قالت هيلين:

- كــــلا فى الواقع، لا أزال عند رأيى حين مــــات غريغوري لن أدع قلبى يتورط ثانية، هذا الزواج يناسبنى، اننى جادة لا أريد أن انبه ليون لى.

ضحكت ترودى.

- ان هذا غير ممكن، لا يحدث فى الحياة الحقيقية.

قالت هيلين.

- لقد حدث، أنا وليون أكثر قليلا من غريبين.

صاحت ترودى

- الم.. .أبدا؟ كلا لا أصدق، ليس مع قبرصى انه لا يستطيع ان يعيش هكذا.

هزت هيلين كتفيها.

- أعرف كل شىء عن حياتهم.

ساءلت ترودى

- ألا تهتمين.

هزت هيلين كتفيها.

– ولماذا أهتم؟ الزواج عملية تجارية بحته وليس لى شأن بحياته الخاصة.

قالت ترودى غير مصدقة.

– ولكن هيلين هل ستستمرين هكذا طوال العمر؟

أجابتها:

– لم لا.

قالت ترودى:

– مستحيل.. ليس مع قبرصى. انه لا يستطيع.

– ماذا تعنين لا يستطيع؟

– أنه لا يستطيع ان يعيش معكى فى البيت ولا يكون... طبيعيا.

– قلت لكى ان له علاقات غرامية.

فسألتها:

– وما أدركنى بهذا.

قالت:

- أنه يخرج كل ليلة.

قالت ترودى :

- معظم الرجال هنا يخرجون كل ليلة، ليس هناك ما يجزم بوجود علاقات غراميه.

قالت هيلين:

- أعتقد أنه يخرج مع نساء

هزت ترودى رأسها

- أنتِ تبالين حقاً؟

ندت من هيلين زفرة حارة دلالة على نفاذ صبر

- أخبرتك أننى لا أجد سببا للمبالاة، لن أسمح لنفسى بالتورط عاطفيا.

- سأقول لكى هذا،

سواء كانت لديكى نية التورط أولا، فلن تستمرى هكذا.

قالت هيلين:

- لا أرى ما يدعو لغير ذلك.

هزت صديقتها رأسها وقالت

- لن يلبث ليون أن... أن...

وعدنى، وهو بجانب ذلك، يجدنى غير جذابه

تأملتها ترودى ملاحظة ثيابها، وشحوب خديها وتسريحة شعرها غير الجذابة

ثم سألتها

- كيف تعلمين أنه لا يراك جذابه

قالت:

انه لا يكاد ينظر إلى

قطبت وهى تقول هذا متذكرة المناسبات التى كان يتأملها فيها بطريقة تثير الاضطراب

ثم عادت تقول

- لقد وعدنى

ضحكت ترودى قائله

- وعد، !؟ أتصدقين أنه سيحافظ على هذا الوعد؟

قالت هيلين:

- أظن أنه أهل ثقة

طاف الرثاء بوجه صديقتها

- كلا ياهلين وحق السماء! إنك لست ساذجة عندما يؤاتيه المزاج ل... ل...

سكتت وهى تهز كتفيها فى ضيق، ثم استرسلت

- عندما يحين الوقت، لن يتذكر أنه أعطى وعداً، يجب أن تعدى نفسك

دهشت هيلين، وارتعدت قائلة

- ليون له ملاهيه، ولن يرغبنى أبداً.

قالت ترودى ضاحكة.

- ليس لديكى دليل حقاً، وعلى أى حال لماذا يخرج ولديه ما يريد فى متناول يده.

اشتد اندفاع الدم فى وجه هيلين وقالت

– أرجوكى يا ترودى، غيرى الموضوع

، وهذا مافعلاه، قضيا بقيه اليوم على نحو هادىء
وبعد تناول الغداء، ذهبتا إلى المدينه

اشترت هيلين جوارب للطفلين، بينما اهتمت ترودى
بشراء الأغذية، وعندما فرغتا من التسوق ذهبتا لمقهى،

قالت هيلين:

– أكره هذه المقاهى، انهم يحملقون بطريقةمستفزة.

تلفتت ترودى قائلة

– هذا لأن نسائهم لا يرتادون هذه الأماكن هيا، تعالى نخرج

جلستا فى الشرفة تحتسيان شراب، وتناولتا مزة من
الزيتون والخيار، تذكرت هيلين عناءها الأول فى تناول الأطعمة

سألتها ترودى فى سياق الحديث

– هل ذهبتى إلى مارى مونتى؟

التمعت عينا هيلين

– كلا، ولكن روبرت دعانى

تساءلت ترودى

– روبرت، آه... الشاب الانجليزى،

هل ستذهبين معه؟

– ربما فى احدى الأمسيات، بعد أن أسلم الطفلين لفراشهما.

سألت ترودى

– هل تستطيعين تركهما؟

أجابت

– ستمكث آرايته معهما.

– هل معنى ذلك أن ليون خارج البيت دائما

أجابت

– ليس دائما، ولكن فى معظم الأحيان

قالت ترودى:

– سيكون عليكى إذا ذهبتى مع الروبرت هذا أن تتأنقى.

هزت هيلين كتفيها

- ليس لدى ما أتأنق به، ربما لا أريد الذهاب على أى حال.

كان قد بقى عند عودتها للمنزل، نصف ساعه على ميعاد وصول السائق أخذتها ترودى إلى المخدع لتريها بعض ثياب جديدة ابتاعتها في زيارتها الأخيره لمصر، قالت وهى تخرج بعض الفساتين

- ما رأيك فى هذه

تأملت هيلين الثياب، مشيره بحسن ذوق ترودى قالت ترودى معترفه

- ولكنى أخطأت فى هذا

وقدمت ثوبا من التيل الأزرق، كان قصيرا جدا، فتحة عنقة واسعة،

إسترسلت قائلة

- إنه لا يناسبنى اطلاقا، رأيته في نافذ متجر فاشتريته بدون تجربه، تاسوس يكرهه.

قالت هيلين محتجة

- لكنه جميل

ونشرته على جسم ترودى، ثم اضطرت للاعتراف

– انه اللون... درجة الأزرق لا تناسبك

قالت ترودى

– انه أقرب إلى اللون الملائم لكى، جربيه؟

جفلت هيلين، وسارت نحو المرآة، لا شك فى ذلك فقد تغير مظهرها بأكملة، قالت

– نعم، أنه لونى

قالت ترودى

– بوسعك أن تأخذيه، فهو لا يصلح لى

ردت عليها

– هذا كرم منك، لكننى لا أستطيع.

ثم تناولته هيلين وعادت تقيسه مرة ثانية.

– بل تستطيعين، انه يناسبك، يجب أن تأخذيه

ردت هيلين

– لا يوجد مناسبة لأشتريه

أسرعت ترودى معترضة

- تستطيعن ارتدائه حين تخرجين مع روبرت

ردت

- الواقع أننى لم أقدم الذهاب بعد

كانت تقف على درجات السلم، متأبطة صندوق الثياب حين جاء ثيو بالسيارة.. .

قالت ترودى

- سأراك الأسبوع القادم

قالت هيلين

- نعم، أشكرك على الثوب

- حسنا، أرجو ألا تعودى للجدل ثانية

ضحكت هيلين، وما هى إلا لحظة، حتى كانت تلوح بيدها لصديقتها من السيارة وصاحت ترودى

- مع السلامة

ثم أردفت بلهجة غامضة

- وأتمنى لكى أحسن الحظ

الفصل الرابع

كان الهواء مفعما برائحة الزهور، إمتدت أشعة الغروب إلى مرتفعات جبال كبرين، فتوهجت بجمرات النار

وقف ليون مستندا إلى مدخل الشرفة، وألقى برأسه الأسمر إلى الوراء، لحقت به هيلين بعد أن أسلمت الطفلين للفراش، أحست به يبتسم حين مرت به خارجه جلسا برهه، ثم مد يده فأنار المكان وسألها

- ماذا تشربين

قالت

- لا شىء شكرا

دخل البيت وعاد بابريق وكوبين، ولم تجادل هيلين عندما ناولها كوبا،

– ألن تخرج

قال وهو يحدق فى عينيها، فتسارع قلبها

– لن أخرج الليلة.

لم يخرج تقريبا، لمدة أسبوع، وأدركت سر ما فى قلبها من خوف، فمنذ أكدت لها ترودى أنه سيحنث بوعده، أخذت تراقبه، وتتأمله فى نهاية كل نهار

تمتمت ملاحظة

– انها أمسية جميلة، من الحرام تمضيتها فى البيت

قال

– نحن لسنا فى البيت، على أى حال، أفرغى من شرابك وسنخرج لنتمشى

ارتعد جسمها، فلم يكن هذا ما تقصد

– أكيد أنك تفضل الخروج مع أصدقائك

قال

– لو كان هذا صحيحاً، ما كنت هنا

زادت كلماته من اضطرابها، وبحركة تلقائية رفعت يدها إلى رأسها هاتفة

- إن بى صداعاً

قال

- إننى آسف

نهض من مقعدة قائلا

- الهواء المنعش سوف يشفيكى، سننطلق بالسيارة حتى الشاطىء، ثم نتمشى هناك، وسرعان ما سيزول صداعك

قالت

-الطفلان، لا أستطيع تركهما

، قال

- سأطلب من أراتيه أن تمكث حتى نعود

- حسنا، أظن أنك على صواب

- سألها وهو يتفرس فى وجهها الشاحب

- هل أنت بخير، هل تشعرين بشيء غير الصداع؟

اصطنعت إبتسامة، ثم اقتربت منه؟ ثم ابتعدت عنه ثانية بسرعة قائلة

- كلا.. لا سوء بي ليون، أما رأسي فأظن أنني شربت بسرعة

قال لها

- فعلاً، وأنت لست معتادة.

ما إن استقرا في السيارة، حتى شعرت هيلين بمزيد من الطمأنينة، لحظة على الأقل.

أوقف السيارة، وتركها غير موصدة، فقالت وهما يسيران للشاطيء

- هل تراها في أمان؟

- الناس هنا لا يسرقون. ولا أعرف أحداً يمر من هنا على أي حال.

وكان على حق فلم يكن هناك سواهما على الشاطيء ووجدت هيلين نفسها تهمس

– يا للسكينة

كانت تشعر بالحرج فى وجوده، لم تكن تدرى ما سيقوله بصوته الخافت

قال

هناك مقعد على مسافة، نستطيع أن نجلس إذا شئت

فوجئت بإحدى التصرفات التى تدهشها، إذا أخرج منديلة ونفض لها الغبار قبل أن تجلس.

قال ليون

– ليتك تشمين العبير حيث البساتين الكبيرثم جلس وقال لهيلين

– سأذهب إلى فاما غوستا الأسبوع القادم، وأمكث يومين، هل تحبين أن تأتى معى

هتفت

– أنا؟!

ثم أردفت بقلق

- لست أدرى

توقعت أنها ستنزل في فندق فقالت

- لا يمكن ترك الطفلين، آراتيــــه يجب أن تنام فى بيتها، هكذا أخبرتنى.

ابتسم قائلا

- هذا من أجل زوجها، يستطيع أن يمكث معها فى بيتنا، لن يتأثر الطفلان بغيابنا يومين اشعر بحاجتك للترويح فقد كنت قلقاً عليكى مؤخراً.

اتجهت عيناها إليه... اذن هولاحظ

انبعث صوته خفيفا، لكنه مُلحّ

- مما تخافين، هيلين؟

إرتجعت، ثم اغتصبت ضحكة

- خائفة..؟ مالذى يُخيفنى.

أجاب برفق

- هذا ما إسألك عنه

هزت رأسها وسرحت فى البحر وهى تقول.

- لست خائفة من شىء

فقال بهدوئه المعتاد.

- إذن، لا يوجد ما يمنع ذهابك معى، سأعطيكى نقودا لتشترى ثيابا

هتفت قبل أن تفكر

آه، كلا

ثم أردفت بمزيد من الهدوء

- لدى الكثير ليون

فتساءل

- ماذا لديكى؟ لابد أنها متروكةفى الخزانة

أذهلها كلامه ولكنها قالت

- الثياب الداكنة أكثر ملائمة للعناية بالأطفال

إرتفع حاجبيه قائلا

- هذه فكرة عفا عليها الزمن

أجابته

– إنتى أفضل الثياب الداكنة

أحست بوجهه يتخذ مظهر خشن

وتغير صوته وهو يقول

– أنا أفضل الثياب الزاهية، سأرى ما عندكى فإذا لم يرق لى تشترين بعض الثياب الجميلة

قالت محتشمة

– طبعاً يحق لى إرتداء ما أحب

– بل سترتدين ما يسرُّ زوجك

وسكت عندما أحس بضيقها، سرت فى صوته رنّة لطف وهو يقول

– سآخذك إلى فندق جورج، وهو أفخر ما فى فاما غوستا، وأوَد أن أفخر بكى.

إذن هذا هو السبب، إسترخى جسمها، وندت عنها زفرة إرتياح، لامت نفسها على مخاوفها.

وقالت:

- متى سيكون سفرنا

قال:

- حوالى نهاية الأسبوع المقبل.

تمتمت فى قلق

-أتظن أن تشيبسى وفيونا سيكونا بخير؟

أجابها

بالتأكيد سيكونا بخير

قالت مقترحة

- يمكننا اصطحابهما معنا

، دهشها أن قال موافقا

- سنفعل يوما... سوف نحظى- لاحقا - بعطلة للترويح ونخرج معاً كعائلة

تحمست للفكرة فقالت

- ألا نستطيع إصطحابهما هذه المرة

قاطعها فى حزم- ليس هذه المرة

لم تجادل، إذا كانت تعرف هذه اللهجة، إرتاحت فى مقعدها تسرح فى البحر وتمتمت

- لا وقت كالربيع

قال ليون:

- له بهجة خاصة، ولكنه للأسف قصير جداً

بدأت نسمة باردة تهب

تساءل ليون

- هل نعود للسيارة

إلتفتت إليه مبتسمة وقالت

- هل نستطيع البقاء فتره أخرى؟

قال:

- ما لم تكونى تشعرين ببرد

ثم أردف بحزم فاجئها.

- كلا... إنكى تتعرضين للبرد. دعينا نعود

وفى طريق العودة عرج ليون على مقهى أبيض كبير،

وتحرك شاب بخفة ليحضر مقعدين

- ما أطيب أن نراك ياليون، إستنتجنا أنك فى سبات منذ زواجك

كان المتكلم، شديد السمرة، ملتحى، وأدركت هيلين قبل أن يخبرها ليون، أنه فنان

قال ليون: ضاحكا

- أنه لم يلق تكريما بعد

فصاح شاب آخر بإستياء

- إن إسم لاينوس على الخريطة

وتحول إلى هيلين قائلا

- لدينا هنا مجموعة صغيرة من الفنانين

ابتسمت هيلين

- نعم، سمعت بهم، قابلت أحدهم على السفينة عند قدومى

- أجل، روبرت، إنه يتكلم كثيرا عنكى، لقد وفق الآن وصوره فى جميع محال الهرابا، انه معجب بك كثيرا

شاعت فى وجه هيلين إبتسامه وتحركت عيناها

تلقائيا الى زوجها ولاحظت هيلين نظرات النساء الأخريات لزوجها ووجدت عينيه ترمقانها بانتقاد، ربما لعدم إهتمامها بمظهرها مثلهن

تجاهلته وأخذت تحادث الفنان الشاب

قال بعد أن أخبرها عن أعماله

– يقول روبرت أنك ترسمين

قالت وهى تتورد

– رسوماتى ليست جيده، لم أتلق تدريباً

قال مؤكداً

– الفنان الصادق يرسم بوحى من قلبه

ثم عاد يقول

– لابد أن ترينا شيئا من رسمك

رفع ليون كأسه قائلا

– أنا لم أرى منه شيئا، حتى الآن لابد أن زوجتى خجولة

قالت بضحكة صغيرة

– أنا لم أرسم شيئا منذ مجيئى

هز الشاب رأسه محذرا

– هل يشغلك طوال الوقت

ضحك ثم أكمل

– لا تتخدعى هيلين، زوجك موسر ويستطيع أن يحيطك بدسته من الخدم إذا شاء

عقبت هيلين

– ولكننى لن أجد ما أفعله، وقد أضجر

لمحت نظرات إحدى النساء وكأنها تقول

–أتضجرين ومعكى زوج مثل ليون

كان نظر المرأة مثبتا على ليون، كانت المرأة تبغضها، أحست هيلين انها تبغضها أيضا، من تكون؟

ولكنها لاحقاً عرفت المزيد، فاكتشفت سر عداوة بولا الزائدة لها

***

بدأت السيارة تنطلق، وذهب ليون لسيارته منتظرا آن تتبعه هيلين ولكن بولا هى التى تبعته، لكن فيل الفنان الشاب جذب كم هيلين قائلا

– ربما لا يكون من اللياقة أن أتحدث، ولكن هى وليون كانوا ...، فلنقل أصدقاء، ولكنه لم يتزوج سواكى

رغم كل الشائعات

وترك كمها، ثم أردف

– أعرف أن هذا لا يعنينى ولكنها امرأة معدومة الضمير تماما

ودفعها لتواصل طريقها

– يحسن أن تنطلقى، فليون ينتظر، ولكن...

إحذرى بولا مسويل.

***

أجل أضفى عليها الثوب جمالا، ابتعدت هيلين عن المرآة كانت ذراعاها عاريتين وكشف صدر الفستان عن نحرها الأبيض الجميل ولمع شعرها الأشقر منسدلاً فوق

كتفيها في موجات. كان الثوب قصيرا، فأظهر حسن قوامها. وضعت هيلين الشال، ثم تناولت حقيبة يدها ثم سارت نحو القرية،

توقفت سيارة روبرت بجوارها

قال

- فى الموعد تماما

سألته وهى تستريح فى جلستها

- كم يبعد هذا المكان

قال وهو يتجاوز الطريق بسرعه

- ليس بعيداً جداً، سيعجبك المكان أنا مسررور أنك جئت.

قالت بقلق

- يجب أن أعود قبل ميعاد عودة ليون

فقال

- سنعود، فلا تخافى

ظلت هيلين تضحك طوال الأمسية، وتمنت أن يطول الوقت

ولكنهـا سُـرت عندمـا حـان وقت الانصـراف، وفى منتصف الطريق تقريبا، شعرت برجة

هتف روبرت

– اللعنة، شىء خرق الاطار

اضطرب قلبها

– هلى يستغرق اصلاحه وقتاً طويلا؟

قال

– لا أصلحه، بل أبدل الإطار

اضطرت للانتظار طوال هذا الوقت والقلق ينهشـهـا عندما وصلت نظرت فى الساعة، فاذا هى الحادية عشر وخمس وعشرون دقيقه

قالت، والسيارة تتسلق الدرب الصخرى المؤدى إلى البيت

– سأهبط، قف يا روبرت

فقال

– لن آتركك هنا فى الظلام، ولا أعـقـتـد أن من حقـه لومك، ما دام يتأخر هو كل يوم

- مضى بها حتى عتبة المنزل، فإذا بها تجد ليون هناك ووجهه يحمل تعبيرا قاتلاً.

قال روبرت

- طابت ليلتك هيلين

افسح لها ليون لتمر، بدون كلمة حتى وصلوا إلى البهو إلتفتت لتوضح له ماذا حدث، فإذا صوتها ينحبس من شدة الخوف، لماذا تخاف هكذا؟ بأى حق يرمقها بهذه الطريقة

أخيراً تكلم بصوت خافت

- أين كنتى؟

قالت

- ذهبنا إلى... ماريه فونت... عطبت إحدى العجلات

أخلت الدثار من أصابعها المرتجفة فقط ووقفت وهى ترتدى الثوب الذى أعطتها إياه ترودى، هم ليون أن يعلق على إيضاحها ولكنه سكت وعيناه تتابعان ذراعيها ونحرها، شعرها الذهبى الفاتن الذى أفلت فى الطريق، كانت وجنتاها عابثتين...

هبطت نظراته تتأملها، وعندما رفع رأسه مرة أخرى، كان هناك شيء فى عينيه أفزعها أكثر مما أفزعتها جهامته

شهقت بخوف

– ليون، أن من حقى أن أخرج

رد بصوت ناعم

– هل تتركين الطفلين وحدهما؟

– قالت

إن آراتيه...

قال

– انصرفت آراتيه فى موعدها المعتاد... وهى تحسبك فى البيت

بدت نظراتها حائرة وهى تقول

– سألتها أن تمكث

– من الواضح أنها أساءت فهم ما حدث

قالت حائرة

- ولكن كيف عرفت

قال

عدت إلى البيت فى التاسعة، ولم أجدك

وسكت لحظة ثم قال

- كان الطفلان مستيقظان، فلم يكونا يعرفان أين أنت

ذهبت إلى آراتيه وسألتها، لم تكن تعرف أيضا، أين ذهبتى

شيء واحد علق فى ذهنها، ليون عاد فى التاسعة، لماذا؟

بعد أن أخبرها أنه سيتأخر؟ إعتقدت أنه فى نيقوسيا يقضى السهرة مع بولا،

وبدافع غريزى اقتربت منه قائلة

- لو عرفت أنك ستعود مبكرا ليون، لما خرجت

بادر قائلا

- هذا واضح

عادت عيناه تطوفان بوجهها وقوامها ثم سأل

- كم مرة تفعلين هذا

أسرعت تقول

– هذه أول مرة

– لا تكذبى ! لا تقفى هكذا وتكذبى، كم مرة خرجت مع هذا الرجل؟

عادت ترتجف

– انها المرة الأولى، إن من حقى أن أخرج على أية حال

قال

– هل من حقك أن تخرجى مع رجال؟

لم تجد كلمات لتخبره أنها ظنته مع بولا؟ ولكنها قالت

– لأن بقائى وحيده هنا لا يسرُ.

وأنت تخرج كل يوم ياليون

لماذا التذلل؟ إنها ليست طفلة حتى يسألها عن غدوانها وروحانها

لذلك أردفت

– سأخرج كلما راق لى، ولا تستطيع منعى

رباه ما هذا الذى قالته؟ انحسر الدم عن وجهها تماما وحاولت أن تهرب اذ تقدم نحوها بخطوة سريعة، ولكن ساقيها خذلتاها، ووجدت نفسها فى عناق يهشم ضلوعها وقال

- ستخرجين حين يروق لك، مع الرجال؟ تتأنقين من أجلهم وتبدين جذابه، أما بالنسبة لى تبدين دائما كعجوز شمطاء

- أرجوك ياليون، أنت لا تفهم، لم أحاول أن أبدو جذابة...إلا ...

- إلا لتوقظى الرغبة فى صديقك؟

كان وجهه قريبا من وجهها، وعيناه كجذوتى النار فلم يداخلها شك فى نواياه، وأردف

- نجحت فى إيقاظ الرغبة فى زوجك، وستتحملين العواقب ، ناضلت قوته ولكنها بعد برهة استقلت مستسلمة تبكى بصوت خافت، أمسك بها على مسافة منه أخيرا، فلاحظ الدموع على خديها، مفاجئة هجومة

والخوف الذى تملكها جعلا كل عصب من جبينها يرتعش، وتذكرت ما قاله من أن القبارصة يهتمون بالنساء ويعتزون بهم، فتبادرت الدموع إلى عينيهاثانية، حملق فيها والدموع تلمع على أهدابها ثم تنحدر إلى وجهها كان لمرآها بهذه الهيئة تأثير عجيب عليه، فاذا كل غضبه وضرواتة يتلاشيان فجأة، ومرّ بإصبعه على وجنتيها، يجفف دموعها بحركة حنونه وهتف

– لا تبكى يا هيلين

كأنما يمحو بكلماته قسوته، واذهلها ولكنه بعث فيها أمل تطلعت نحوه وقالت

– هل ستخلف وعدك ليون؟

سيطر صمت طويل وإشتد إسوداد عينيه وهو ينظر إليها وقال برفق

– أنتى زوجتى يا هلين

وغشيتها مراره طاغية، صحيح أن القبرصى لا يستطيع أن يعيش بدون إمرأة، وأى إمرأة ترضيه.

الفصل الخامس

نظر الطفلان بوجوم إلى هيلين وهى تغلق غطاء حقيبة ثيابها، وسأل تشيبسى فى أسى

– كم ستغيبان

بدت لمحة من السرور فى عين هيلين وقالت

– ثلاثة أيام على الأكثر

قالت فيونا

– ثلاث أيام طويلة، ليس هذا عدلا، لماذا لا نصطحبكما

– لان العمة هيلين تريد أن ترتاح، والآن أخرجا ودعاها تحزم حقائبها

كان ليون يقف بالباب

فقالت فيونا فى إغراء

- هل من الممكن أن نصطحبكما، عمى ليون؟

سنكون مهذبين تماما.

قال متعجبا

- سنأخذكما فى وقت آخر

وعندما رأيا أسارير ليون تتبدل، أطاعا على الفور

وعندما إنحنى ليون ليقفل الحقيبة، لامست أصابعه القوية أصابعها، فإذا بها تنزع يدها، زم فمه وإعتدل ثم تناول يديها متعمداً، وامسكها بقبضة قوية قال متهكما وعيناه تتأملان أصابعها الرشيقة

- لابد أنكى تفضلين الرجال الانجليز ولكنك لسوء حظك تزوجت منى.

ردت هيلين

- لسوء حظى

جاهدت لتخلص يديها ولكن الضغط إشتد وبجذبها إليه.

قالت:

- هل يجب أن أذهب معك؟، الطفلان مستآن

أحنى رأسه الأسمر

- قلت أنه لن يصبهما أذى، ونعم يا هيلين

يجب أن تأتى معى

- الا تستطيع الاستغناء عن امرأة لثلاثة أيام

أى صنف من الرجال أنت

قال

- أظن من حقى مرافقة زوجتى معى حين أسافر

كان صوته خافتا، لكن وميضا خطيرا لمع فى عينيه

وقال

- تبدين مقتنعة بمعرفة سبب رغبتى أن تكونى معى

سحبت يديها ولكنه أمسك كتفيها وقال محذرا

- إحترسى يا هلين... من أجل صالحك.

مات الرد فى شفتيها، فلا جدوى من مجادلته والتعرض لغضبه كما حدث منذ ليال

أقلتها ثم قال

- هل انتهيت من حزم أمتعتك؟

قالت ببرود

- كل ما أحتاج اليه في الحقيبة

قال ليون وهو يقف بجوارها

- هل حزمت كل الثياب التى اشتريتها

تطلعت اليه قائلة

- لقد حزمت كل ما أمرت بحزمه ليون، اطمئن لن أخذلك

ساد الصمت برهه، ثم تحول لينصرف، ولكنه عاد وقال بصوت خافت، كزمجرة حيوان يتأهب للأنقضاض.

- أنذرتك بان أحذرك، ولو أغفلت هذا التحذير فستتحملين الثمن

تركها وأصابعها المرتجفة على السياج، وعيناها تحدقان فى السماء

***

انطلقا بمجرد ذهاب الطفلين للمدرسة

قال ليون وعيناه لا تبرحان الطريق

– سنذهب رأسا إلى الفندق، ثم أصطحبك إلى المدينة القديمة

ألقت هيلين نظرة على جانب وجهه ثم إلتفتت تواصل تأمل الطبيعة

استأنف كلامه

– تقولين أنكِ لم تزوري المدينة القديمة أبداً، أنها غاية في الجمال

قالت بصوت جامد

وسمعت عن جمالها

تطلع إلى الطريق، ثم سألها بشكل مفاجىء

– هل تكرهينني يا هيلين؟ كنا سعيدين بشكل معقول قبل... قبل...

قالت

- قبل أن تتخذ منى متعة، نعم ياليون كنا موفقين وكان من الممكن أن يستمر هذا

مست فمه القاسى إبتسامة هادئة وباهته وقال

- أتظنين ذلك؟ وأنت يا هلين، هل كنت تقنعين بنوع حياة كهذه.

قالت

- عرفت أننى ما نويت السماح لمشاعرى بالتورط

حكيت لك عن غريفورى وكيف خذلنى

- لم تجيبى عن سؤالى

الرجال بشر والنساء بشر أيضا

قالت

- النساء مختلفات، لاسيما الانكليزيات

رد بمراره

- لا حاجة لان تخبرينى بذلك

ثم أردف

- ولكنى لا أزال أقول أنهم بشر، سواء كن باردات أم لا، ألن تجيبى عن سؤالى

قالت:

- لا يمكن أن أحلم بالانغماس فى المعاشرة على سبيل التراضى

قال لها:

- ما زلت تراوغين

إحرف بالسيارة ثم قال

- اننى أعترض على مصطلح التراضى، هيلين. من فضلك لا تستخدميه مرة أخرى.

- أنت تقصد أننى مخطئة فى استنتاجى وهو أنك تستخدمنى كوسيلة للمتعة فقط

أنذرها لكى لا تستعملى هذا المصطلح

قالت متهكمة

- إنك ملىء بالمفاجآت ياليون ما كان ينبغى أن أتوقع منك الاعتراض على المصطلح الفظّ

قال:

يريحنى أن أسمعك تقرين بفظاظته، كنت قد بدأت أعجب من سذاجتك هيلين

كان عبير الزهور يتهادى خلال نافذة السيارة،

قالت:

– إطراؤك يحيرنى

أجابها

– إن التهكم لا يناسبك

إلتفتت بسرعة وحمرة الغضب على وجنتيها وقالت

– ألا يسمح لى حتى بحرية الكلام

أجاب

– لكى الحرية طالما أنكى لا تقصدين إهانتى

لم يتبادلا كلمة، حتى بلغا الفندق، نقلت أمتعتها إلى الفندق فاذا أصرعة النوافذ مغلقة

فتحتها هيلين على الفور، قائلة

- لماذا يغلقونها

أدركت أن زوجها يقف إلى جوارها عندما هتف

- إنها العادة... لم تألفي عاداتنا بعد

عادة! كانت عادة أيضا أن يعامل الرجال النساء وكأنهن مقتنيات

قالت وفي صوتها رنّه غمٌ مفاجئة

- يستحسن أن أُخرج ثيابي

ولكن ليون لم يتزحزح وأحست بيديه يطوقانها، فتبسمت ولكنه قال

- من الممكن أن يكون هذا شهر عسلنا، هيلين

ردت

- شهر العسل للعشاق

قال:

- وهذا ما أعنيه

أزاحته وفرت إلى الغرفة

- ألا تستطيع أن تتركني وشأني، هل يجب أن أعاني منك ليل نهار، انفرجت شفتاه ووقف كالمصعوق، لكنه تمالك نفسه

وقال:

- اذا كنتي تعتبرين عناقي مصدر عناء، فالجواب هو نعم

- سآخذ ما أريد وقتما أريد

قالت والغضب باق في صوتها ولكن الخوف أفعم قلبها

- لكنك وعدت...

- ثم عادت تقول

- ألا يؤلمك ضميرك، لانك حنثت بوعدك

قال:

- لا ضمير عندي فيما يتعلق بصلتي بك، أنتي زوجتي وأنا لا أخرق القواعد. إذا أخذت ما هو ملكي،

قالت بسخط

- لا داعي لأن تذكرني أن الزوجة هنا ملك تقتنيه

ثم إبتلعت ريقها بصعوبة ثم قالت

– ولكنك لن تستبقينى هنا للأبد، بمجرد أن يبلغ الأطفال سناً مناسبة سوف أرحل عن هنا.

نظر إليها ثم سار نحو المدفأة

ولكنك ربما تكونين انجبتى أطفالا، قبل هذا بكثير

نظرت إليه محتده

– هل ستستبقينى بهذه الطريقة

نظر إليها

أستبقيك!!

نظرت إليه مأخوذه، كان فى صوته إختلاجة غريبة، كأنما يجد صعوبة فى الكلام

نظرت إليه مأخوذة، ولسبب ما تذكرت الشعور الذى أحست به عندما رأت بولا معه، إقتربت منه لا إراديا ومدت يدها نحوه هاتفة

– ليون.

تناول يدها، فأمسكها بقوة، وعاد الدم رويداً إلى شفتيه وإكتسحت إبتسامة كل خشونتة وقال

- نعم يا هلين

- لكنها لم تستطع الكلام، عجزت عن ترتيب أفكارها، بسبب إضطراب قلبها، برغم إرادتها قالت

- هذه الرحلة القصيرة، هل تستطيع أن نكون فيها سعيدين معاً؟

حدق فيها غير مصدق، ثم جذبها إليه، وأحاط خصرها بيده قائلا برفق

- نعم.. يا عزيزتى، نستطيع أن نكون سعيدين

سرى فى أعماقها شعور بالذنب لا تدرى لماذا

***

انطلق بعد الغداء إلى فاما غوستا القديمة، فى زيارة تتعلق بأسباب العمل فى المقام الأول، كما قال ليون، ولكنه لم يقضى فى مصنع التعبئة إلا دقائق معدودة، بعدها قال

- سنمضى فى بساتين البرتقال، انها متعة فى هذا

الوقت من كل سنة

كان على صواب لأن المنطقة بأسرها رائعة

هتفت هيلين

- هذا رائع، لم أرى مثيل له فى حياتى

أوقف ليون السيارة وأختفى الوميض القاسى من عينيه وهما تتأملان هيلين وقال بصوت خافت

- أنت جميلة جدا هيلين

مد ذراعه فوق رأسها، فقطع فرعا صغيرا وقال

زهور البرتقال هدية للعروس.

وناولها الفرع، وفجاة بدا شابا صغيرا، غير واثق من نفسه، كان النفير سريعا، إبتسمت له وهى تتناول الفرع وتقربه إلى وجهها وقال بصوت خافت ورقيق

- أنتى بارعة الجمال

قالت وقد عادا إلى السيارة وهى ممسكة بفرع البرتقال قرب وجهها

- حدثنى عن البرتقال ياليون، أعنى ما عملك فى مصنع التعبئة أخذ يحدثها عن المصنع الذى يملكه وبساتين الفاكهة

عندما بلغا المدينة القديمة، أوقف ليون السيارة فى الساحة ودخلا أحد المقاهى لتناول المرطبات.

قالت هيلين تستعلم وهى ترقب رجلين يلعبان على مقربه

- هل يلعبان على نقود؟

قال:

- على المشروب فقط

- رمقته بنظرة متسائلة

- أليس لديهم عمل،

فضحك قائلا

- ما زال رأسك الجميل مشغولا بأن النساء يعملن، بينما يقضى الرجال الوقت فى التكاسل

قالت فجأة

- أكره أن أكون زوجة رجل فقير هنا

رمقها متسائلا وقال:

- أصحيح هذا هيلين

زمّت شفتيها وقالت

- ماعنيت هذا... انما قصدت أننى ما كنت أتمنى أن أولد هنا، وأكون فقيره... إنك تعلم ما أعنى

قال :

- نعم، أعرف ما تعنين

ثم إستأنف

- لكن النساء هنا لا يأبهن، تعودن هذا، طالما أنهن يهتدين أخيرا إلى زوج .

تناولت رشفة من القهوة وقالت

- تلك الزيجات.. الزيجات التى لا تقوم على الحب... كيف يتسنى؟

قال مقاطعاً إياها.

– الأمر بسيط، فمثلا تزوج بافلوس، أحد أبناء عمى أخيرا فتاه من قرية بسيطة فى الجبال، سعى إليه أخوها وأخبره بميزاتها، قائلا بوسعها أن تقدم بيتا، فوافق بافلوس على اللقاء بها، والواضح أنها راقت له فقبل الزواج منها على الفور.

تناول جرعة ماء، وومضت عيناه بابتسامه حيال الصدمة التى بدت عل هيلين والتى سألته.

– أهذا كل شىء... الأخ يدبر الأمر والشارى يتأملها، لكن هذا بشع!

فقال :

– إنه الاجراء الطبيعى

فصاحت

– ولكن الفتاة... أليس لها أى رأى فى الأمر؟

قال معترفا

– رأيها لا يذكر... بل إذا رفضت فان أباها وأخواتها لا يصغيان إلى رأيها ولكن نادراً ما يحدث ذلك، ولذلك

تعترف بفضله ولا تفكر فى رفضه

قالت:

– انه يبدو بفيض التدبير، لابد أنه محرج للفتاة لحد مؤذ

قال وعلى وجهه إبتسامة.

– أبداً، انها العادة يا عزيزتى

بعد إفطار متأخر، خرجا إلى الشاطىء، مباشرة وكانت الشمس حارة، اقترح ليون ان يسبحا، بعد تناول الغداء قال لها

– ساضطر أن أتركك قرابة ساعتين ولدى عمل على أن أنجزه أنه لم يغب زهاء ساعه ونصف، عندما أطل عليها بعد ذلك طويلا وسيماً

إستوت جالسه يغلبها الحياء، وقالت

– لقد عدت مبكراً

قال، وهو يجلس باسطاً ساقيه الطويلتين

– لو صدقت ما تراه عيناى لقلت أنكى سعيدة

مال على أحد مرفقيه وسألها

- أخبريني الصدق، هل أنتي سعيدة حقاً

- استمرت ترسم بأصابعها رسوما على الرمال، هل يريدها حقاً أن تهتم به، أم يريدها مجرد جارية، علمت هيلين من ترودى أن اليونانيين يجدون الحب فناً، إحمرت وجنتيها إذ تذكرت الكلمات التى سمعتها فى هذا المجال

- الأنكليزى ناشىء فى هذا المجال إذا ما قدورن بهم

- ولو قدر لليون أن ينكص بوعده ستشعرين أنكى فى نعيم

إختار ليون هذه اللحظة ليرفع لها ذقنها ومن الغريب أنها لم تقاوم حركته، وقال

- لماذا يا هيلين الجميلة

اضطرب شىء ما فى كيانها ولكنها رفضت أن تفسد هذه الهدنة التى إلتزماها، تمتمت

- كنت أحاول تذكر شىء ما

قال وفى صوته إصرار

- مـا الذى كنتى تفكرين به وجـعل وجـهك يضطرب هكذا، هزت رأسها وحركت يديها على الرمال

قال لها:

- أنزلى إلى الماء، فإن الجو حار

إنطلق ليـون في الماء بعـيـداً ولكن هيلين ظلت على الشاطىء.

أخذت تسترجع علاقتها بفريفورى، إنهما لم يكونا متقاربين فى الواقع وما كانت تعتبره زواج سعيد، كان مجرد تعايش، أما السعادة، تمثلت لها فى صورة ترودى واشراقتها منذ تزوجت

كانت ترسم على الرمال حين وصل ليون، قال وهو يمسك يدها

- ألا ترسمين لى

قالت وهى تستجيب، إذ جذبها واقفه

- لست بارعة، ليون

- بالنسبة لرسمك هذا فأنا الذى أحكم، عندما نعود

إلى البيت سوف ترسمين لى [illegible]

فقالت:

- كلا - أين ستضعها؟

جاء رده ناعما

- سأعلقها فى مكتبى

- أحست بهزّة سعادة

قالت منذرة

- ربما يتغير رأيك حين تراها

فقال - لن أغير رأيى

سارا ببطء إلى حين تركت هيلين منشفة الشاطىء، إلتقطها ليون وساعدها على إرتدائها، ثم إرتدى إزاره، لم يكن على الشاطىء سوى أفراد قلائل من الفندق، يستمتعون بالشمس

تساءلت هيلين

- اترى زوجها كان يعرف أن زوجين يشغلان مائدة

قريبة من المكان يراقبان رعايته لها؟

قال:

- إرفعي رأسك

أطاعت، اضطربت عيناها، إزاء تألق الشمس، مست أصابعةعنقها، ثم هز رأسه وابتسم لها في حنان وقال

- لو لم يكن هناك من يرقبنا لقبلتك!

ذهبا في اليوم الثاني إلى لارناكا، راحا يتمشيان على الشاطىء وتناولا بعض المرطبات في مقهى صغير، ثم استقلا السيارة إلى البحيرة المالحة، أعجبت هيلين بالطيور هناك

قال ليون

- من حظنا أن نراها، فسترحل قبل نهاية الشهر

ابتسم لها مضيفاً

- كنت أدرك أن هذا المكان سيروق لك، والآن، أتودين أن نوغل في الجبال.

وشاب صوتها شيء من الشغف وقالت

- نعم، ياليون، هل نحن بعيدان عن ليفاكيارا، أتمنى رؤية النساء تقمن بأعمالهن الحرفية وأود شراء بعض منتجاتهم إذا أمكن.

قال:

- هذا ممكن طبعا، ولست مضطرة أن تسألى يا هيلين

وصلا إلى قرية جبلية صغيرة، تصنع فيها منتجات رائعة، اشترى ليون أغطية للموائد، ومناشف ومناديل وثوبا مطرزا بشكل فخم، مزين الصدر، والأكمام بالدانتيل.

شهقت هيلين، لغلو ثمنه وقالت

- إنه باهظ.. والأبيض يناسبنى

تلفت ليون حوله قائلا

-حقا، الأبيض يلائمك

كان الثوب ملائماً لها جداً وحبست أنفاسها فى المرآة وهتفت

- إنه جميل جداً... ولكن الثمن غال جداً

قال ليون

- لا شىء يعتبر غالى يا عزيزتى

ثم أردف بصوت خافت

- ألم أقل أننا سنسعد

وعاد يقول

- هل أنتى سعيدة يا هيلين

كانت فى صوته رجفه، راح يتأمل محُياها متلهفا فى انتظار الجواب، إرتعشت إبتسامة جميله على شفتيها الجميلتين وقالت بصوت خافت وبحه

- نعم يا ليون... إننى سعيدة

الفصل السادس

إمتزج الربيع المسرع الخطى، مع الصيف على نحو غير ملحوظ، لقد إنسابت وليون لنمط حياة محتمل، وعليها أن ترضى لهذا، فهذا أفضل من السخط الذى كانت تعانية في البداية كلما اقترب ليون منها

رفعت رأسها حين اقترب ليون

- كان يومك حافلا

أجاب

- إلى حد كبير... وأنت؟

فقالت

- أظننى أجنح إلى الكسل، آراتيه تقوم بكل شىء

تأملها مبتسماً ثم قال

- لقد إكتسبتى سمرة فاتنة يا عزيزتى

احضر مقعدا وجلس أمامها

– لماذا هذا النفور منى، لقد حدث ما حدث

– هل تتوقع منى حباً

– كلا يا هيلين لا أتوقع منكى حباً

– قلت لك أننى لن أعرض نفسى لذلك النوع من الام القلب ثانية

قال

– هل تعتقدين أن هذا المسلك معقول

قالت

– لن أتيح لرجل آخر أن يؤذينى ثانية، لن أقع فى الحب ثانية.

– ومع ذلك تتوقعين الحب منى؟

نظرت إليه بحده وقد حيرتها كلماته وقالت

– لا أتوقع حبا منك يا ليون.

– اكفهر وجهه بامتعاض وقال

– إذن لماذا الامتعاض

وبدأت تفهم ما به فقالت

– إنك تعرف السبب ليس لأنك تعيش في بلا حب ولكن لأنك تفعل وحسب

– هز كتفيه بنفاذ صبر وقال

– انك غير واقعية ولا منطقية

ثم حول الموضوع فجأة، سائلاً إياها

– ماذا عن اللوحة، هل انتهيتي من رسمها

قالت

مجرد بدايه، لا أستطيع أن...

قاطعها

– دعيني أراها وأحكم بنفسي

هزت كتفيها

– حسناً، ولكنني لا أظنها ستعجبك

وهبت وأحضرت اللوحة وعادت بها إليه

– ها هي ذي

نظر إليهاوفي عينيه نظرة غريبة وسألها

– ما الذى أوحى إليك برسم الطاحونة القديمة

ردت قائلة

– إنها تجذبنى بشكل غامض، فهى فاتنة والماء ينبثق حولها من كل جانب

لم يعد يصغى إليها وفى عينيه تعبير نصف حالم،

بدى لهيلين فجأة كطفل، وشعرت برغبة فى ضمه بين ذراعيها.

قال لها

– كان هذا البيت ملكاً لجدى ثم تفرق الأبناء

والأحفاد، فى الواقع...

نظر إليها،

– إن الطاحونة ملك لى، ظننتك إهتديت إليها.

ردت هيلين

– لقد وجدتها صدفه، وأنا أتجول مع الطفلين

نظر إليها بإعجاب

– لقد أبدعتي فى رسمهما

إشتد إحمرار وجه هيلين، وقتمت عينا ليون، فإنخفض جفناه ليخفيا ما فيها من تعبيرات. فسألت نفسها هل أخطأت فى الحكم عليه

قالت له

– من المحزن أنها خَرِبه، ألا يمكن عمل شىء لإصلاحها

قال:

– الواقع أننى أنوى بيعها، ومن الغريب أن تختاريها أنتى بالذات لترسميها، فنحن كنا ننوى رسمها لتجليدها على أى حال، أعتقد أنه سيقوم بتجديدها مع بعض التعديلات إننى واثق أنه سيحولها لمكان جميل

قالت وهى تفكر

– نعم... البحر والجبال... ماذا يبتغى المرء أكثر من ذلك

تنهدت بعمق ونظرت إليه، فابتسم لها قائلا

– لقد أُعجبت برسمك يا عزيزتى، لقد كنت واثق من ذلك

تلقت كلماته بابتهاج لأنه لم يستأ من رسمها

الفصل السابع

كانت هيلين مستغرقة فى عملها حتى أنها لم تفطن إلى إن هنالك من يراقبها، إلى أن سمعت صوت زوجها خلفها، فإذا بعينيه يفيض منهما الأعجاب مسلطتين على اللوحه

- هل أوشكت على الفراغ ، ما أسرعك

، أبتسمت متراجعة وقالت

- إنه التشجيع، كيف عرفت أننى هنا؟

- أخبرتنى أراتيه

قال:

- أخذ الحر يشتد في المكتب

نظر إلى اللوحة مرة أخرى وقال

- سيقيم الفنانون معرضا محلياً لأعمالهم فى

نيقوسيا، وسأدخل لوحتك فيه.

ابرقت عيناها الزرقاوان، لكن البريق خفت بعد قليل، اجابت بيأس

– لن تكون جيدة كفاية يا ليون

قال والثقة فى صوته

– قلت لكى من قبل أن الحكم فى هذا لى

بادرت قائلة

– أنه لكرم منك أن تشجعنى وأنا شاكرة لهذا.

تلفتت حولها حين سمعت ضحكات بعض الأطفال فنام جبين ليون، وأرهف اذنيه وقال

– انهما مع صبية القرية، ويبدو أنهم فى البيت التركى القديم

نهض عن مقعدة قائلا.

– تعالى لنذهب فنتبين ما يجرى

جرت فيونا نحو عمها واحاطت ساقيه بذراعيها وقالت مستطلعة لهيلين

– إننى أحبه كثير.

إلتفتت هيلين فإذا ليون يطل بحنان على الوجه الصغير الحافل بالمشاعر، ثم رفع نظره لهيلين، وسمعته يتمتم

– ما ألطف أن أشعر بذراعيك حولى أحيانا

إلتفتت نظراتها فاختفت آخر شكوكها، كان يهتم بها ولن يخذلها

***

كان هيلين وليون يتناولان العشاء، بعدما لاذ الطفلان بفراشيهما حين عاد ليون لموضوع الأجازة قائلا

– إذا ذهبنا ليافوس، نستطيع زيارة أمى...

تحمست هيلين للفكرة، قررا أن يقوما بالعطلة بعد ثلاثة أسابيع بعد أن يأخذ الطفلان عطلتهما المدرسية

قالت هيلين

– يجب أن أشترى الأشياء الجديدة للطفلين، أثناء زيارتى القادمة لترودى

***

زارت هيلين مصففة الشعر التى قالت لها

- سمعت أنكى تجيدين الرسم، إحدى صديقات خالتى تقتنى إحدى لوحاتك

دهشت هيلين

- إحدى لوحاتى، لابد أن هناك خطأ ما، فمنذ قدومها للجزيرة لم ترسم إلا لوحه واحدة.

تطلعت إليها الفتاة فى حيرة قائلة

- كلا، انها رسم الطاحونة القديمة فى لايثوس.

خفق قلب هيلين أضرابا، هل فرط ليون فى لوحتها؟

سألت هيلين،

- ومن تلك التى لديها لوحتى.

قالت

- أنها تقيم فى نيقوسيا، بولا مكسويل. كانت زميلة خالتى...

هزت هيلين رأسها وقد غاص الدم تماما من وجهها احست ان قلبها محاط بالثلج، إذن أعطى ليون لوحتها

لتلك المرأة، لابد أنه مستمر فى لقائها.

لم تدرى هيلين كيف تماسكت حتى يتم تصفيف شعرها

جـرت قـدمـيـهـا جـراً إلى البـيت، لـم تكن ترغب فى العودة، تبادرت الدموع لعينيها فكبتتها.

كان ليون أمام المدخل يعد السيارة استعداداً لرحلة الغد حين وصلت فهتف

- هل حدث شىء عزيزتى هيلين، حبيبتى ماذا حدث؟

يا للرياء، أهابت بها غريزتها أن ترمى كل شىء فى وجهه ولكن ذلك كفيل بالغاء الرحلة، ما ذنب الطفلين.

قالت

- لا شىء ليون، إن بى صداعا، سرعان ما سأتعافى

قال بحزم

- يجب أن تنامى، هيا يا عزيزتى، سأعاونك.

رفعها إلى السرير، وانتزع حذاءها، وجذب الغطاء فوقها ثم أغلق مصاريع النافذة وقال

- حاولى أن تنامى حبيبتى

مـا إن خلت بنفسـهـا، حتى عـجـزت عن كبح الدمـوع، فليستمتع بفوزه لان هيلين لن تدعه يقربها مرة أخرى

- كان ليون بجوار الفراش حين استيقظت مرة أخرى

قال لها

- هل تشعرين بتحسن حبيبتى؟

ما أبرعه فى صنيع صوته بالاهتمام والقلق فقالت

- إننى بخير... كان مجرد صداع.

قال :

- هل أنتى متأكدة

ردت - بالطبع سأنهض الآن

، تساءلت فى نفسـهـا، آه لو كان صـادقـا لزحـفـت إلى ذراعيه والتمست الفراء على صدره

***

استيقظ الطفلان فى السادسة

سألها بول

– هل تشعرين بتحسن

ضمها إليه بالرقة المألوفة وقال لها يمكننا أن نلغى الرحلة إذا شئتى

نظرت إليه فى ألم، متمنية لو أن إهتمامه هذا كان حقيقياً،

أشاحت بوجهها بعيدا وقالت

– أنا على ما يرام، ليون

– فعلى أى حال ليس للأطفال ذنب فى ذلك

***

أمضيا النزهة معاً وقاما بزيارة والدة ليون، وعمته وعند عودتهما، كانت هيلين تقتصر دائما وحدها وتبتعد عن ليون قدر المستطاع

***

الفصل الثامن

كانت هيلين تعتزم إخبار زوجها بشأن اللوحة، ولكنها كانت ترجى ذلك، خوفاً من غضبه، إكتفت بأن حاولت تجنبه قدر المستطاع

وذات مساء بينما كانت تقرأ فى كتاب، إذا به ينتزع من يدها بواسطة ليون الذى رماه على الطاولة

- أريد إيضاحاً هيلين، أظن هذا حقى.

نظرت إليه متسائلة

- إيضاح، !؟ لست أدرى ماذا تعنى

قال وهو واقف

- أتنكرين أن هناك تغيرا طرأ عليكى، أنتى لم تعودى راغبة فى

رفعت ذقنها قائلة

- راغبة! ما رغبت فيك ابدا

- لا تكذبى، كنا معاً سعيدين لفترة، فما الذى حدث أخبرينى بالسبب، نستطيع أن نعالج الخلاف ونُبتّ فى الأمر لنصلح الأمر

لم تترك كلماته سوى المرارة فى نفسها

شرعت تقول

- ما زلت لا أفهمك، عقد زواجنا بدون حب، ولا أستطيع أن أرى ما تشكو منه.

صاح وراحتا يداه تتقبضان وتنبسطان

- لا تكذبى، لقد أحببتنى لفترة

وبرغم خوفها صاحت

- أحببتك، من أوحى إليك بهذا، بالنسبة للتغير فالمرأ لا يستطيع الاستمرار في التمثيل للأبد

نهضت سائرة نحو الباب، فأمسك معصميها بقوة صائحا

– إذن كنت تمثلين على

– أنت تؤلمنى

نظر إليها بحدة صائحاً

– كان تمثيلا، ستندمين على هذا ما حييت، ما من إمرأة تخدعنى وتنجو من العقاب

نظرت إليه خائفة، متوجسة من وعيده ونذيره.

نظر إليها هو الأخر كالوحش الغاضب ثم تركها وذهب، بعد لحظات سمعت صوت السيارة تهدر على الطريق

جلست على المقعد ترتجف بشده، تشعر أنها خائفة ووحيدة ليس معها أحد من أهلها

استغرق روبرت فترة ليرد

قال:

– كنت أعتزم الاتصال بكيو فان السيد كروالى، أرسل لى مفتاح المنزل وطلب منى أن نبدأ فى العمل فوراً

أمسك لحظة ثم قال

- ما أحسبك خالية الآن، فأحضرى الآن

- بل تعالى روبرت، سوف نناقش ما يجب فعله

- ولكن زوجك، لدى انطباع أنه لا يحبنى كثيرا

ردت قائلة

- أنه في الخارج ولا أتوقع عودته قبل منتصف الليل

قال لها

- حسناً، سوف آتى إليك الآن نستطيع الانطلاق لنرى ما يمكن عمله

توقف برهه ثم قال

- نستطيع الذهاب إلى مقهى ما لمدة نصف ساعة

عندما وصل روبرت قضيا بعض الوقت معاً، وعندما كان يستعد للذهاب رن جرس التليفون فجأة، فرد روبرت ثم نظر إلى هيلين قائلا

- غرام قديم لزوجك.

نظرت إليه هيلين ثم تناولت السماعه قائلة

– أنا السيدة ليون، أخشى أن زوجى غير موجود

ردت بولا

– تقولين غير موجود، هل عندك فكرة عن ميعاد عودته

قالت:

– أخشى أن لا

– حسنا من فضلك عندما يعود أخبرية أننى اتصلت

ترددت ثم قالت

– من الرجل الذى رد على؟

– أظن هذا من شأنى الخاص، آنسه بولا.

– حسنا... لا تخافى، لن أخبر ليون

قال روبرت معتذرا

– أنا أسف، بمجرد أن تكلمت عرفت فيها بولا التى كانت تصاحب ليون كثيرا قبل زواجكما

– هل كانت علاقتهما معروفة للجميع

– نعم

– انك هادئة جدا، لا حب من الطرفين

– نعم، بالضبط

نظر إليها الصمت وكان تعليقه الوحيد

– بعض الرجال حمقى

ذهبت مع روبرت إلى جزء منعزل من الشاطيء بعد تفقدهما العمل، كان الشاطيء يبعد ستة أميال عن كدينا، قضيا ساعتين فى الماء وتحت الشمس على الرمال الذهبية

قال روبرت

– ما رأيك فى بعض الشاى وجولة فى الريف، ثم العشاء؟

قال بعد أن بدلا ملابسهما فى السيارة

– هل نتناول الشاى فى الميناء، أم تفضلين مكان أكثر عزلة

فضلت مكان أكثر عزلة، انطلقت السيارة خلال التلال حتى هبط الظلام، اقترح روبرت مطعم معروف

ترددت هيلين فبادر قائلا

- من الممكن أن يشاهدنا أحدهما، أينما ذهبنا.

ما رأيك فى المجىء لمسكنى، ونعد وجبه لنا؟

ترددت هيلين لحظة ثم وافقت

استمتعت هيلين بالطعام، لدهشتها كان روبرت رفيقاً طيباً، لم يسألها عن أى شىء، فاستطاعت أن تحتفظ بحياتها الشخصية على حدة.

قام بعد ذلك بتوصيلها

- فارقها روبرت عند باب الحديقة، كانت الفيلا فارغة فارتاحت لذلك، آوت إلى الفراش، خرج ليون باكرا، فتأهبت هيلين لإنتظار روبرت

أقبل روبرت فى الساعة التاسعة، قاد السيارة خلال الطريق الطويل، فوصلا العاصمة بعد العاشرة واستغرقا أكثر من اللازم لشراء لوازم الرسم، فاقترح روبرت أن يتناولا الغذاء فى نيقوسنا. وذهبا إلى هيلتون، وكان أول من رأت هناك بولا مكسويل، جالسة الى مائدة شخصين،

فى أحد الأركان

هتفت هيلين

– روبرت دعنا نذهب من هنا، إن بولا تجلس هناك مع زوجى

نظر وقطب جبينه

– بولا وليون، ما أدراكى أنه هو؟

وكاد يدفعها دفعاً إلى المقعد، فلم تبدى أحتجاجاً آخر، إذا كان بوسعها برغم المسافة أن تدرك أن بولا تحدق فيهما وتبتسم، نظرت إلى الرجل وهتفت

– يا لغبائى، إنه ليس ليون

قال روبرت

– أرايت أنه ليس ليون، أنه مجرد عميل، فهى تعمل سمسارة عقارات

***

كان ليون فى البيت حين عادت هيلين، فتطلع من فوق

صحيفته وسألها أين كانت... قالت

– فى نيقوسيا، لشراء بعض الدهانات، إصطحبنى روبرت معه.

– فى أى وقت ذهبتما للمدينة؟

– فى حوالى التاسعة

– هل كنتما معاً طوال اليوم

– نعم ليون، كلانا لديه عمل ومن الطبيعى أن نكون معاً

نظر إليها قائلا

– لقد عدلت عن رأيى فى السماح لكى بأداء هذا العمل لقد تغيرت الظروف

– تغيرت؟ كيف ذلك؟

– أنا مصُرٌّ على ما أقول، لا تقومى بهذا العمل، مفهوم؟

اعتدلت فى مقعدها

– كلا يا ليون لا افهم، انا أرفض تلقى الأوامـر منك، لى حق تقرير مصيرى بنفسى.

ثم أضافت متحدية

– سيأتى روبرت فى الصباح... وكل صباح وسأذهب معه، انا أسفه إذا لم ترتاح للأمر، ولكن ليس بيدى حيلة

– هل هذا هو قرارك الأخير

– لابد أن أؤدى العمل ليون، انه يعطينى متعه.

ضغط على أسنانه

– متعه؟ تستمتعين بقضاء اليوم كله مع صديقك، هل هذا ما تقولين؟

أعتقد أننى أنذرتك من قبل، أما أن تنفذى رغبتى طائعة أو أتخذ الاجراءات لاكفل انصياعك... فالآختيار متروك لكى وحدك

إحتقن وجهها وصاحت

– لن اقبل أوامرك خاضعة، أما إتخاذ إجراءات تكفل أن اتخلى عن العمل فكرة سخيفة، إنك لا تستطيع حبسى

فى المنزل.

وافقها قائلا

- لا يا عزيزتى، لم أفكر فى ذلك

وغادر الغرفة بدون أن يزيد كلمة

- كانت فى المطبخ حين أتت فيونا

- عمتى هيلين، أنا سعيدة بعودتى للمنزل

، - ظننتك مسرورة بالبقاء عند صديقتك

- نعم استمتعنا ولكننا نحبكما أكثر ما نحب الجميع لذلك أردنا أن نأتى.

***

الفصل التاسع

كان من الطبيعى أن تفطن ترودى لحدوث شىء ما، فمجرد خروج الأطفال ليلهوا فى فناء البيت، حتى سألت هيلين

أجابتها فى صوت منهدم

- لا شىء ترودى

وجاهدت لئلا تبكى، لكن ترودى ألحت عليها، حتى أفضت بكل شىء،

- أتقولين مدله فى هواها؟ إذن لماذا لم يتزوجها؟

- أنه ليس ممن يتزوجون، ولم يكن ليفعل لولا الطفلين.

إن الأمر يزداد سوءاً وأنا لا أستطيع ترك الطفلين

أحاطتها ترودى بذراعيها

- سيجلبان لك كل السعادة يا هيلين إننى متأكدة

ما زال الأمر كله يحيرنى، لا يبدو اطلاقاً أن ليون من الصنف الذي يتعمد إيلامك على هذا النحو

- اقتحم خلوتها صوت تشيبسى

- هل أستطيع الخروج للرياضة بعد الغداء؟

رفعت بصرها، وابتسامه، ثم سزلت صديقتها

- أيناسبك هذا؟

قالت ترودى

- تماما، فأنا أحب المشى

كانت الساعة الرابعة، حين عادوا للمنزل، فإذا ليون يجلس فى السيارة أمامه، وجف قلب هيلين فقالت

- أنت مبكر يا ليون

غادر السيارة وعلى وجهه أغرب تعبير

- أننى أنتظر منذ أكثر من ساعتين

سأله تشيبسى

- هل جئت لتصحبنا للبيت، قالت العمة هيلين أننا سنعود فى القطار

– إن ما تقوله العمة هيلين، مختلف تماما عن الحقيقة

ما كانت لتخطىء المعنى العميق وراء كلماته.

أخيرا، ظهرت ترودى ودعتها للداخل

– من أخبرك أننى فرطت فى لوحتك؟

بدا صوتها مضطربا وهى تقول

– مصففة الشعر فى القرية... ما كنت لأصدق هذا

قال فى لوم

– كنت أظنك فوق الإكترات بالشائعات، هل صدقتى أننى أفارق اللوحة التى قلت أننى أريدها فى مكتبى

ابتعلت هيلين ريقها بعناد، كان ثمة خطأ فى الأمر، فرغم اللوم فى لهجته، كان هناك ومضة حنان

قالت:

– لكنها ليست فى مكتبك

– لابد أن أصحح قولك عزيزتى، أنها فى مكتبى أتخذت خطوه قصيره نحوه

– ولكن... لكنها لم تكن... إذا لم تكن أعطيتها إياها

فأين كانت، ظننت...

قال متجاهلا آخر كلماتها.

- الايضاح بسيط عزيزتى، لو أنكى سألتينى لوفرت على نفسك عناء المشقة.

، مضى يخبرها أن الرجل المهتم بشراء الطاحونة القديمة، أتى إليه من طرف بولا، وعندما رأى لوحة الطاحونة طلب شراءها ولكن ليون رفض، عند ذلك سألنى أن أطلب منك رسم واحدة مماثلة ولكن بما أننى اريد أن أحتفظ بنسختك وحدى، أعرته إياها ليرسم مثلها عن طريق بولا واللوحة عندى الآن فى المكتب

هز رأسه فى أسى

- كيف تصدقين ذلك عنى هيلين؟

- عندك تفسير لهذا، ماذا عن بقية الأمور

نظر إليها ثم قال دعينا نذهب للسيارة

قالت ترودى

- الآن تعودان للمنزل بدون أن تخبرانى شيئاً، فأنا..... امرأة يستبد بها الفضول.

قال ليون

– إننا ذاهبان للمنزل لنسوى بعض الأمور

قالت فى السيارة

– قلت أنك ستوضح الأمور

– إن ما أريد قوله لا يجب أن يذكر أمام الطفلان

؛ عندما دخلا للمكتبه بعد ذلك فوجئت بليون يشد ها بين ذراعيه قائلا

– أننى أحبك يا هيلين

نظرت إليه غير مصدقة من شدة الفرحة

أنا.. أنا

– أنتى حمقاء صغيرة، فقدت ثقتها بنفسها وبالرجال بسبب تجربة فاشلة مرت بها

– هناك يا حبيبتى أتهمتنى بنزهات خلويه مع بولا كل ما هناك أنها سمسارة عقارات وكان بيننا بعض العمل

– ظلت هيلين صامتة ورأسها مطرق، ثم هتفت بصوت متحشرج

- لا أعـرف كيف أطلب منك السـمـاح، كنت حـمـقـاء ومتهورة فى استنتاجاتى

- كذلك فعلت أنا فى الواقع، كنت شديد الغيرة من روبرت

- أنه لا يعنى لى شيئا

- وكـذلك بولا، أنتى المهـمـة لى، كنت أخـاف أن يكون بقائك بسبب الطفلين فقط

بادرت مسرعه

- كلا... كلا ليون... مـا كنت لأتركك آبدا، ليس هناك داعى لجزعك، إننى أحبك أنت

- وأنا أحبك أيضا يا حبيبتى

جذبها بين ذراعية برفق

أنا وأنت والأطفـال وجـمـيع الأبناء الذين سننجـبـهم ونضمهم معاً لدائرة حبنا للأبد..!

الحب والخوف

قررت هيلين الذهاب فى رحلة لرعاية الطفلين ولكنها لم تكن تتصور أن الأمر سيخرج عن هذا الحد.

لقد طلب منها عم الطفلين الزواج هل توافق؟ أنه زواج مصلحة وهو الأنسب لها بعد الجرح الذى تعرضت له بخيانة زوجها.

ولكن ماذا لو تورطت مشاعرها فى الأمر؟